جامعة بجاية

كلية الأدب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

جماليات صورة المرأة في رواية "سأقذف نفسي أمامك" لديهية لويز"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتان:

ناصري نبيلة

مصواف كهينة

إشراف الأستاذ:

حكيم أومقران

السنة الجامعية: 2015/ 2016

بسم اللّٰه الرّحمان الرّحيم

بسم اللّه الرّحمان الرّحيم

وقد تعلم أنّهم يقولون إنّما يعلمه بشر لسان الذّين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربيّ مبين

صدق اللّه العظيم

سورة النّحل الآية: [103]

بسم اللّه الرّحمان الرّحيم

اقرأ باسم ربّك الأعلى الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربّك الأكرم(3) الذّي علّم بالقلم (4) علّم الإنسان ما لم يعلم (5)

صدق اللّه العظيم

سورة العلق الآيات [1 إلى 5]

الأدعية

«اللّهمّ لك الحمد أنت نور السّماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيّم السّماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحقّ ووعدك حقّ، وقولك حقّ، ولقاءك حقّ، والجنّة حق، والنّار حقّ، والساعة حق، والنّبيون حقّ، اللّهمّ لك أسلمت وعليك توكّلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدّم وأنت المؤخّر لا إله إلا أنت».

«اللّهمّ إجعل في قلبي نورًا وفي لساني نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، ومن أمامي نورًا، ومن خلفي نورًا، واجعل لي في نفسي نورًا، وأعظّم لي نورًا».

اهداء

إلى التّي كنت أعزف عليها نغمة حياتي

إلى التّي رافقت دربي بالتّضرع والدّعاء

إلى التّي غرست في أعماقي حبّ العلم وعلّمتني سمو التّفاني فيه

إلى من كانت ظلي في كلّ أخطوها

أمي الحنونة

إلى من رباني صغيرة واعتنى بي كبيرة

أبي العزيز

إلى من ساندني في طريق العلم، عائلتي، أخواتي حليمة، جوهرة، ليندة

إخواني وزوجاتهم، و إلى الكتاكيت زياد، جيناد، مراد

إلى كلّ الذّين تسعهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى كلّ عائلة ناصري

إلى من جرّدني من اسمي ولقبي، وغدا بي في بلد غريب

وجعلني أنتمي إلى أنفاسه

إليك يا حبيبي أنت...؟

نبيلة

اهداء

إلى منبع الحبّ والحنان، إلى الأمل، إلى البسمة والتفاؤل

إلى من جعلتني أكبر بين أحضانها وغمرتني بحبّها وعطفها

وحنانهاإلى أمي الغالية

إلى من سهر على تربيتي وقام برعايتي ودعمني ولازال يدعمني إلى هذه اللّحظة

إلى أبي أطال اللّه في عمره

إلى إخواني، اعترافا بجميلهما، أهديهم ثمرة جهدي

إلى بلال، حساء، ريان

إلى الكتاكيت هاجر، عصام، دالين

إلى رفيق دربي في هذه الحياة

إلى حبيبي وخطيبي إليك أسمى عبارات الحبّ والاحترام

عمر

كهينة

كلمة شكر وتقدير

في المقام الأوّل فهو الأوّل والأخير الذّي نحمده ونستعينه ونستغره، نشكر الله القدير الذّي منحنا الصّبر، وأنار لنا طريق الدّرب، ومهّد لنا السّبيل لانجاز هذا البحث المتواضع.

وفي المقام الثّاني لا يسعنا إلاّ أن نشكر الأستاذ " أمقران حكيم" الذّي أشرف على هذا البحث من بدايته إلى نهايته وسدّد خطانا، وأثبت عزيمتنا لنواصل في طريق العلم قدما

كما نتوجّه بالشّكر الجزيل إلى الأستاذ مسيلي الطّاهر الذّي مدّ لنا يدّ العون إلى نهاية مطاف هذا البحث

وكلّ أعضاء قسم اللّغة والأدب العربي بجامعة بجاية

وأشكر أيضا كلّ من ساعدنا في انجاز هذا البحث في مقدّمتهم عائلتينا اللّتان كانت لنا عونا في تحدّي الصّعوبات التّي واجهتنا في هذا المشوار، ودعمتنا إلى آخر محطّة

وكذلك صديقتنا وادي سليمة وكلّ أفراد عائلتها التّي دعمتني كثيرا خاصة معنويا

وأشكر الأستاذ بن أعلي لونيس، والأستاذ خيار

وأشكر كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد.

مقدّمة

مقدّمة:

برعت المرأة في العمل الأدبي وأبدعت فيه، إذ جعلت من الورقة النّقيّة ورقة تسيل عليها دمعة المداد ووضعت بصماتها على السّاحة الأدبيّة لتخرج من فكرة أنّها مجرّد أداة أو لعبة بين يديّ المجتمع، يستخدمها فقط لتلبيّة الحاجة، بالتّالي ظهرت كعنصر فعّال تتجاوز أطر الدّونيّة كما يراها الرّجل، لتكشف النّقاب عن حقيقة ما تقدر عليه، وتجعل من نفسها أسطورة تروى على المسامع، والذّي كان سببه السّحر والجمال الفنّي الذي جاءت به في قوالب أدبيّة عاليّة، وفرضت إبداعاتها في الوسط الأدبي من شعر ونثر، حيث جعلت من مواضيعها وسطا سحريّا تترجم فيه التّجربة الشّعوريّة الذاتيّة، إذ عبّرت بشكل أو بآخر عن مختلف الرّؤى والانفعالات التّي تمرّ بها أو تتعايش معها من خلال ذات أخرى، فاتخذت اللّغة جسرا تعبر منه لتحوّل المكبوت إلى مكتوب تجسّد بها الوقائع، وتبرز ما تحمله الأنثى من هموم دنيويّة سلّطت عليها من قبل الآخر، كما عملت مواضيعها على صياغة انكساراتها وعلاقاتها مع المحيط بمختلف تجليّاته، مستغلّة في ذلك موسوعتها المعرفيّة والثّقافيّة، مستندّةً إلى واقعها من أجل الخلاص والنّفاذ من الوضع الاجتماعي الذّي تعاني منه، إذ دفعتها الظّروف التّي تمرّ بها إلى إيجاد عدّة قضايا تتحدّث عنها وتنقلها، وفي الوقت نفسه تسعى للوصول إلى محطّة معيّنة، تجد فيها تقدير لذاتها في الآن ذاته، تدريجيا بدأ النّص النّسوي في احتلال المكانة التّي كانت تنادي بها المرأة في إطار الثّقافة العربيّة، وظهرت عدّة أسماء ذائعة في المجال الأدبي ومنهنّ الخنساء، نازك الملائكة، رابعة العدوية، غادة السّمان، آسيا جبار، طاوس عمروش، فضيلة الفاروق، ديهية لويز... إلخ. فكلّ منهنّ

رفعن القلم لتكتب من زاوية نظرها، وإذابة العراقيل التّي تواجهها، كما عملت أسماء أخرى ذاع صيتها على تفعيل المواضيع المتعلّقة بالكتابة النّسويّة، وأصبح مصبّ اهتمام العديد من الباحثين

فلم نكن خارج هذا النّطاق، فقد أثارتنا قضيّة الكتابة النّسويّة، ووقع اختيارنا على روايّة تحمل بين صفحاتها أحداث واقعيّة، أسريّة، اجتماعيّة، سياسيّة، وصوّرتها بطريقة فنيّة فائقة.

قد وقع اختيارنا على رواية "ديهيّة لويز" لدافعين:

ـ الدّافع الأوّل يتمثّل في أنّ ديهية لويز روائيّة تمرّدت على الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة، وحتى الأسريّة، وصرخت في وجهها، وأعلنت ثورتها ولغتها على القدر، وقد تناولت عدّة مواضيع تذكر فيها معاناة المرأة وما تمرّ به من أزمات داخل الأسرة أو خارجها، وكلّ الممارسات العنيفة التّي تمارس في حقّها من عنف، وإرهاب، واغتصاب، وكلّها مسائل وقضايا حسّاسة عرفها المجتمع الجزائري.

كما أنّها أطلقت العنان للكتابة بحرّية مطلقة، ولم تُظهر وزنا لا للمجتمع أو أيّ محيط آخر وإنّما صوّرت أشكال العنف والاغتصاب في الرّواية بكلّ حذافيرها، كما عبّرت عن سخطها على وطن لا سلطة فيه، عمّه الفساد، إلى جانب ذلك واجهت الأعمال الوحشيّة الذّكوريّة وواجهته في سطورها الرّوائيّة بلا خوف.

ـ الدّافع الثّاني هو معرفة مدى قدرة "ديهية لويز" من وضع بصمتها على المسّاحة الأدبيّة بالرّغم من أنّها درست الاقتصاد، وهل برعت في نقل الأحداث الواقعيّة بين ثنايا الورق، كما أنّ الرّوائيّة الجزائريّة درست بجامعة بجاية وقامت بعدّة لقاءات بالدّول العربيّة في حين الكثير منّا من لا يعرفها، لذا عمدنا إلى تحليل رواية "ديهية لويز" من أجل التّعريف بها للقارئ الجزائري.

ونظرا لأهمية الكتابة النّسويّة في الوسط الأدبي دفعنا إلى عدّة تساؤلات:

ـ كيف نظر التّاريخ إلى المرأة عبر مختلف الحقب الزّمنيّة؟

ـ ما هي نظرة العرب إلى المرأة، وبالذّات كيف نظر الإسلام إليها؟

ـ هل استطاعت الكتابة النسائيّة أن تترجم واقعها من خلال القوالب الكتابيّة وما مدى نجاحه في قدرة استيعاب مشاكل المرأة؟

ـ هل استطاعت المرأة فعلا أن تثبت وجودها في الوسط الاجتماعي؟

ـ وهل كانت نظرة العالم للمرأة نسبيّة تختلف من مجتمع لآخر، أم أنّها مطلقة ينظر إليها من وجهة واحدة، وعدسة ذات لون موحّد؟

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة سابقا اعتمدنا على دراسة وصفيّة فنيّة للمرأة في الرّواية القائمة على معالجة المواضيع وتحليلها وكشف مضامينها وخبايا الواقع المدروس وفق مخطّط يتماشى مع طبيعة الموضوع المدروس، وفرض علينا تقسيمه إلى فصلين،

فصل نظري، وفصل تطبيقي، وقسمنا الفصل الأول إلى مبحثين، وعالجنا ف هذا الفصل الذّي يحمل عنوان " المرأة عبر التّاريخ" تضمّن مجموعة من العناصر، العنصر الأوّل درسنا فيه موضوع المرأة والتّاريخ ومكانتها عند الغرب وعند العرب، ونظرة الإسلام للمرأة، وأشرنا إلى وضع المرأة في ظلّ المجتمع الجزائري، أما العنصر الثّاني يتضمن موضوع المرأة في عصر النّهضة، أين اتخذت المرأة الكتابة كهاجس للتعبير عن واقعها المر، وخلق علاقات جديدة مع العالم، أما العنصر الثّالث يندرج تحت عنوان " المرأة والكتابة النّسويّة" يتضمن المرأة والكتابة النّسوية، وينقسم بدوره إلى عنصرين، العنصر الأوّل خصّصنا فيه ذّكر الخنساء، نازك الملائكة، رابعة العدوية، أما العنصر الثّاني المرأة في الرّواية والقصة، تحدّثنا حول أهّم الرائدات في الرّواية الجزائريّة، وهنّ غادة السّمان، آسيا جبار، طاوس عمروش.

أمّا الفصل الثّاني الذّي يندرج عنوانه تحت " معالم الذّات الأنثويّة في الرّواية" فقد كانت دراستنا تطبيقيّة لموضوعات تخص المرأة ومعاناتها في رواية "ديهية لويز" تحت عنوان "سأقذف نفسي أمامك"، دخلنا في دوافع الكتابة عند الرّوائيّة، كما عمدنا إلى تحليل موضوعات مختلفة عالجتها هذه الأخيرة انطلاقا من موضوع العنف بكلّ أشكاله وألوانه، وصولا إلى موضوع الاغتصاب الذّي تعاني منه المرأة.

وأنهينا بحثنا بخاتمة استعرضنا فيها أهّم النّتائج التّي توصلنا إليها.

كأيّ بحث أكاديمي واجهتنا فيه مجموعة من الصّعوبات أهمها قلّة المراجع في المكتبة وضيق الوقت.

وفي الأخير لا يفوتنا إلاّ أن نتقدم بالشّكر الجزيل ألى المولى عزّ وجلّ الذّي أعاننا لاستكمال عملنا هذا، ولا ننسى الأستاذ المشرف الذّي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه العلميّة المستمرّة التّي أنارت الدّرب في انجاز هذا العمل المتواضع.

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل

1 ـ المرأة والتّاريخ.

2 ـ المرأة في عصر النّهضة.

1 ـ الكتابة النّسوية.

1- 1 ـ المرأة في الشّعر.

1 ـ 2 ـ المرأة في الرّواية والقصة.

1 ـ المرأة والتّاريخ :

منذ نشأ المجتمع البشري والمرأة تقوم بدورها مع الرّجل في تطبيق الحياة الزّوجيّة ومسؤوليتها في بناء الأسرة، واستمرار النوع الإنساني. علاقة الرّجل بالمرأة ليست جنسيّة، وإنّما هي علاقة إنسانية شاملة، كما اللّيل والنّهار يكونان اليوم إذ لا يمكن أن يكوّنه أحد الوجهين بمعزل عن الآخر، ولا فضل لأيّ منهما على الثاني، كذلك هي المسألة بالنّسبة للرجل والمرأة اللّذان يكوّنان المجتمع البشري، باعتبار: «المرأة والرّجل صنوان لا يفترقان، بهما ابتدأ العصر البشري، باقترانهما استمرّ الوجود وتعددت الأمم والشعوب، وقامت المدائن والحضارات وبسط الإنسان سيادته على الأرض» [1]، إذ لم تكن هيمنة هذا الأخير على الأرض وتسخيره لقوى الطّبيعة وإخضاعه لمصالحه وإرادته أمرا واقعا، فلولا هذا الاقتران الأزلي الذي يربط بين الجنسين البشريين (المرأة والرّجل) ولولا السّر الإلهي العظيم المتمثل في قدرة المرأة على الحمل والولادة لمّ استمرّ النّسل الإنساني وهذا يظهر في القول: «امرأة أنت: فلا تهزي الصمت لتساقط عليك رطب الكلام ولا تخلخلي قيودك، فهي هدية الأب، والزّوج و الأخ ... »[2]

كانت المرأة ولازالت عونا للرجل ومثالا قيّما لحبّه والتّضحية من أجله و الباعثة لإلهامه والدافعية لإقدامه، والمحرّك الأساسي لطاقته وقدراته، حيث كانت تقوم بجميع الأعمال المختلفة المجال، كالزراعة والصنّاعة، والرّعي ...إلخ، فقد تجاوزت حدود طاقتها

[1] . يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة الأولى، مأساة لم تنتهي، دار السوسن، سوريا، ط1، 2005م، ص7.

[2] . المرجع نفسه، ص 5

وفرضت نفسها بشدّة في شتى الميادين: «... فالواحدة منهنّ في وسعها رفع الأثقال، أو تحمل منها ما لا يستطيعه إلاّ رجلان، وهنّ كذلك يقمن لنا الخيام، ويصنعن الملابس ويصلحنها، ويدفئننا في الليل، إنّه يستحيل علينا أن نرحل بغيرهن، فهن يعمّلن كلّ شيء ولا يكلّفن إلاّ القليلّ، لأنّهنّ ما دمن يقمن الطهي دائما فإنّهنّ يقنعن في السنين العجاف بلعق أصابعهن»[1]

انطلاقا من هنا ونظرا لاختلاف العادات والتقاليد، والمعتقدات الدّينية في مختلف بقاع العالم، وصولا إلى دورها في الحياة الاجتماعية ونظرة المجتمع بحدّ ذاته إليها، وطبيعة علاقتها بالرجل، وهذا ما أفرز حدّة الاختلاف فيما يخصّ شأن وضع المرأة ومهامها ومكانتها وطبيعتها في العالم، مما أدى إلى حتمية المقارنة بين وضع المرأة في الوطن العربي بصفة عامة ووضعها في الدّول الغربية بصفة خاصة،: « فإنّ نظرة سريعة في تاريخ الأمم والشعوب تدّل على المكانة المتدهورة للمرأة في مختلف الشرائع الوضعية » [2]

مع اكتشاف الزراعة، انتظمت الأسرة أكثر واستقر المجتمع، وامتلك الرّجل الأرض، وما عليها، كما امتدت ملكيته إلى المرأة والأبناء وتحوّل النّظام إلى نظام أبوي وصار الأبناء

[1]. يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة الأولى مأساة لم تنتهي، ص 21.

[2] . صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائريّة، ط 2، 2009، ص 17.

ينسبون إلى الأب بدل الأم، يقول سيمون دي بوفوار: « وحين ظهر النظام الأبوي أخذ الأب يتمسك بذريته واعتبرت المرأة حامية ومغذية لبذرة الرجل»[1]

ومن خلال هذا القول يتبيّن لنا أنّ مكانة المرأة تختلف عن مكانة الرّجل واعتبر عمل المرأة شيئا ثانويا، وانحصرت أعمالها في حيز محدود وهو البيت، وانعزلت عن ميدان الشّغل في الخارج، وتحوّل الجنس بذلك مجرّد حاجة ملّحة بيولوجية يحقق إشباعها لذة إلى وسيلة للإخصاب بالدرجة الأولى

يقول محمود يوسف عن المرأة: « أنّها ظلمت في كلّ الشرائع دون استثناء، لأنّ واضعيها رّجال»[2]

بالرّغم من الدّور الفعّال الذّي لعبته الأم، والأخت، والزّوجة المطيعة التّي أثارت الهمم، وربّت الأجيال، إلاّ أنّ الظّلم الذي لحق بها سلب منها سلبت منها الحقوق والواجبات، كما كانت ضحية التقدم والتّخلف وتحوّلت إلى لعبة الرّجل الذي كان يشتريها بنقوده كما كان يشتري البهائم والبضائع.

: «إنّ مصدر العار هو المرأة، ومصدر العناء في الجهاد هو المرأة، ومصدر الوجود الدّنيوي هو المرأة، وإذن إياك والمرأة»[3]، إذ أنّها كانت منبوذة ومحتقرة من طرف الكل، حيث

[1] ـ صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائريّة، ص 11.

[2] ـ المرجع نفسه، ص11.

[3] ـ يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة الأولى، مأساة لم تنتهي،ص44.

جعلوا منها مصدرا للعار والإهانة والذّل لا سلطة لها على الرّجل بل هو دائما المسيطر عليها.

انطلاقا من هنا سنحاول معرفة مسار المرأة عبر العصور

1. 1. المرأة عند الغرب:

مرّت المرأة عبر العصور المختلفة بعدّة مواقف كانت فيها حقوقها مهدرة وكرامتها الإنسانية غير معتبرة، حيث أصبح وضع المرأة بالغ السوء وشديد التّحقير إذ كانت كالمتاع تباع وتشترى، وكانت كالأموال تورث بين الأجيال، أمّا الحضارات الغربية القديمة فكانت مهيمنة لا وجود لها ولا كيان اجتماعي يذكر، أي اعتبرت مجرّد وسيلة للمتعة حيث نظر إليها نظرة دونية محتقرة،: « تعتبر المرأة و العبيد من جملة أدوات الرّجل الضرورية ومن ضمن مقتنياته التي لابد منها»[1]

ويرى أيضا: «...المرأة رجل غير كامل وقد تركتها الطبيعة في الدّرك الأسفل من سلّم الخوف، وهي للرجل كالعبد للسيد والعامل، للعالم والبربري لليوناني...»[2]

[1] ـ حسين المحمدي بوادي، حقوق المرأة بين الاعتدال والتّطرف، دط ، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2006، ص 14.

[2] ـ يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة الأولى ـ مأساة لم تنتهي،ص 50.

: «حيث ظلّ يؤمن بدونية المرأة، وأنّها أقل درجة من الرجل . هذا لو كان في الإمكان أن يحصل ذلك . عليها أن تتخلى عن أنوثتها وتصبح رجلا أو تسترجل وتسير عارية وهي تمارس الرّياضة أو القتال لأنّ الأنوثة عنوانا للضعف والدّنيوية»[1].

إذ أخذنا قوانين المرأة مثلا في اليونان كانت المرأة تدخل ضمن ممتلكات وليّ أمرها، وبعد الزّواج تكون ملكا لزوجها، فليس لها سلطة على نفسها، وليس لها أدنى حق للتصرف في نفسها، تباع لمن يريد شراءها

وفي شريعة اليهود تعتبر المرأة في منزلة الخادم، وتحرم الأنثى من الميراث سواءً كانت أما أو زوجة، إذ ما كان للميت ذكور: « إذا توفي الزوج و لا ذكور له،... تصبح أرملته زوجة لشقيق زوجها ،أو لأخيه من أبيه ، ولا تحل لغيره إلا إذا تبرأ منها و رفض الزواج بها»[2] .

كانت المرأة في أوروبا وقت ظهور الإسلام سلعة تباع و تشترى وتعذب ... وتأخذ أشق الأعمال بأقل الأجور حيث كتب الفيلسوف الإنجليزي "هيربرت سبنسر" في كتابه علم الاجتماع .

: «إنّ الرّجال كانوا يبيعون الزّوجات في إنجلترا، فيما بين القرن الحادي عشر ميلادي»[3].

1 ـ أفلاطون، السياسة ـ المعرفة ـ المرأة، تر: خديجة زتيلي، ط 1،الدّار العربية للعلوم،بيروت، 2011، ص77- 78.
2 ـ محمّد متولى الشّعراوي، المرأة في القرآن، دط، مكتبة الشّعراوي الاسلاميّة، ص 14.
3- المرجع نفسه، ص 15.

نظرتهم إلى المرأة نظرة دونية ومحتقرة، إذ يعتبرونها وسيلة أو أداة الإنجاب الأطفال وخدمة الزوج .

عند الرومان كان الرجل هو المسيطر على الأسرة كيفية المجتمعات الأخرى ،

فالأب هو صاحب الحقوق القانونية على زوجته وأولاده وعبيده ،وقد يكون أهل روما القدماء من الرجال مميزين عن غيرهم في أنهم كانوا يحكمون على المرأة وينفذون أحكامهم بأنفسهم ،وكان للرجل على أبنائه حق الحياة و الموت وحق بيعهم في الأسواق مثل الرّقيق ،أما البنت فتبقى تحت سلطان أبيها حتى لو تزوجت ،إلا إذا سلمها هو بيده إلى زوجها: « تنتهي بعده سلطة الأب على ابنته وتبدأ سلطة الزوج والمرأة محرم عليها الظهور في دار المحكمة حتى لو كانت شاهدة وإن مات زوجها ، فليس لها أي حق بالمطالبة بأمواله ،وهي خاضعة طوال حياتها لرقابة أبيها أو أخيها ،أو ابنها،أو الوصي عليها»[1]

[1]- يحي أحمد عيسى ،المرأة والخطيئة الأولى ص51

1 ـ 2 . المرأة عند العرب :

إنّ المجتمع الإنساني الأول لم يؤسس بقيادة الرجل المحارب بل تبلور تلقائيا حول الأم التي منحت عواطفها للأبناء فالمبدأ الأمومي يوحد ويجمع بينهم ،أما المبدأ الأبوي فإنه يفرق و يصنع الحواجز

: «لذلك فهي ينبوع حنان لا ينصب، زوجة مطيعة وخادمة أمنية وأم حنون ونجاب ولود»[1]

دور المرأة لا يقل عن دور الرجل في مراحل البشر الأولى، بل هو أكثر أهمية مما حذا بالرجل لاستلابها لحقوقها وامتيازاتها يقول "ديورانت": « إنّ معظم التّقدم الذّي أصاب الحياة الاقتصادية تاريخيا يمكن أن يغزى للمرأة، أكثر مما يغزى للرجل فبينما كان الرجل لقرون طويلة متمسكا بأساليبه القديمة من صيد ووعي، كانت المرأة تطوّر الزراعة وتتقن الفنون المنزلية التي أصبحت فيما بعد أهم ما يعرف الإنسان من صناعات، فمن شجرة الصّوف كما كان الإغريق يسمون نبات القطن، أخذت المرأة تغزل الخيط وتنسج الثّياب القطنية، وهي على الأرجح تقدمت بفنون الحياكة والنسيج، وصناعة السّلال والخزف، وأشغال الخشب والبناء، بل هي التّي قامت بالتّجارة في حالات كثيرة وهي التّي طوّرت السّكنى والدّار الزّوجية واستطاعت بالتّدريج ضم الرّجل إلى الحياة العائلية، بعد أن يعيش لوحده منفصلا عن المرأة لا يزورها إلاّ لماما»[2]

[1] ـ يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة الأولى، ص7.
[2] ـ المرجع نفسه ص12.

لكن هذا التّقدم الذي كان للمرأة دورا بارزا فيه تحوّل فيما بعد خطرا عليها، إذ سلبت منها السلطة والقوة تدريجيا، فبعدما تطوّرت الزراعة وتربية الماشية أصبح الرّجل مهتما بالبحث عن المزيد من مصادر الثروة، فتولى بعد ذلك المزيد من أعمال الزّراعة وسلب من المرأة زعامتها الاقتصادية وبعد استخدام الإنسان البدائي للحجارة والحديد تطلّب ذلك شيئا من القوة البدنية التّي لم تتوفر في المرأة كما توّفرت في الرّجل، مما عزّز سيطرة الرّجل على المرأة .

تعرضت المرأة إلى التّفرقة الذّكورية الأنثوية، التّي فرضتها ظروف متعددة وأحطّت من قيمتها في مقابل منح السّيادة للرّجل الذي سمح له بتكوين الحريم:«الذكر الرّجل الذّي صادر العرش واتبع السّلطة واستأثر بالمعرفة، أفنى بمعايير إبداعية متعسفة تضطهد المرأة »[1]

أضرت فكرة الجواري كثيرا بقيمة المرأة، حيث كانت متيقنة بأن المحل الأول في قلب زوجها ليس لها بل للجارية التي اختارها الزّوج، لأنّها جميلة وحسناء، وهذا ما جعل المرأة تخضع خضوعا تاما للزوج وتعمل على طاعته: « بما أنّ الزوج يحتقر جاريته فإنّ هذا الاحتقار ينتقل بالمحاكاة السيكولوجية إلى الزّوجة الحرّة ثمّ يعمّ الشعب كلّه احتقار المرأة، »[2] كانت المرأة العربيّة في الجاهلية أحط من أيّ سلعة تباع وتشترى فهي لا ترث وليس لها حق المطالبة بما يخصّها من حقوق فقط تنفّذ ما عليها وليس ما لها، ولا تذود عن الحمى في الحرب وزواجها يعود إلى أمر وليّها، وليس لها حق الاعتراض والمشورة. والعرب مثل غيرهم من الشعوب القديمة، كانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد ذكر، ويغتمون إذا

[1] ـ يسرى مقدم، مؤنث الرواية الذات والصورة ـ الكتابة، دار الجديد، لبنان، ط1، 2005، ص4.
[2] ـ صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص 15.

ولدت لهم أنثى، وكان الرّجل يصاب بضيق صدر وهمّ بالغ إذا قيل لهم أنّ زوجاتهم وضعت أنثى.

لقوله تعالى: «إذا بشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم سوء ما بشّر به، أيمسكه على هون أو يدّسه على التراب، إلاّ ساء ما يحكمون»[1]

ولقد كان العدل في زمنهم لصاحب القوّة والجاه، وصار القوي المنبع هو صاحب الحقّ في الغالب، والاعتبار الرّجل صاحب البنية القوية وذو الجسم الطّبيعي، وفطرته أقوى من المرأة منح نفسه حق إصدار الأحكام عندما صار الحق في الجاهليّة لجانبه ورفع نفسه عنها في أكثر الأحكام، وحرّمها ميراثها وقايضها بدونه.

يقول الدّكتور جواد علي: « وفي زواج البدل وفي منع المرأة من الزواج إلاّ من قريبها لوجود حقّ الدّم عليها، وفي منع زواجّ زوجات الآباء إلا يرضي أبناء الأب وذوي قرابته لأنّهم أحقّ بالزواج منها وغير ذلك من سنن الجاهلية التّي كانت توحي أنّ المرأة دون الرّجل في الحقوق لأنّها خلقت دون الرّجل في القوّة، ولم يكن أمامها بالطبع إلاّ الاستسلام»[2]

الظلم الفادح الذي نزل على المرأة بسبب ضعفها، وبسبب عرف الجاهلية في حقّها، وأبشع العادات وأفضحها عادة وأد البنات التّي تميز بها عرب الجاهلية وعدوها من المنكرات إذ قال الشاعر حول هذا الموضوع

[1] ـ سورة النّحل الآيتين (58 - 59).
[2] ـ مريم نور الدّين فضل الله، المرأة في ظلّ الإسلام، دط، دار الزهراء، لبنان ـ بيروت، 1987، ص 14.

«القبر أخفى سترة للبنات ودفنها يروى من المنكرات »[1]

السبب في ذلك يعود إلى خوفهم على الشرف والخوف من القتل والتّشرد والذّي تتعرض له البنات بسبب الحروب والغزوات.

: « إنّ طبيعة نظام القبيلة وقتئذ كانت قائمة على الرّغبة في البنين دون البنات إذا كثرن كثر العبء على الرّجال»[2] ، وهذه العادة القبيحة اللاإنسانية كانت واسعة الانتشار في أيام الجاهلية في الجزيرة العربيّة عند أهل البادية في الصحراء وفي المدن المتحجرة.

يقول الدّكتور جواد علي: « إنّها كانت عادة سيئة ولكنّها كانت نادرة الحدوث في الصحراء»[3]

لكن الميداني يقول: «إن إعادة و أد البنات كانت متبعة عند قبائل العرب قاطبة،وطلب هذه العادة جارية ومتبعة عند جميع القبائل العربية حتى جاء الإسلام فأبطلها وحرمها »[4]

صحيح أن عادة واد البنات كان تقليدا شائعا عند الكثير من الشعوب القديمة غير أن الأمر اختلف عند العرب ،فهناك العديد من الشخصيات العربية المهمة أمثال جد الشاعر العربي الفرزدق الذي كلما سمع بأمر الوأد دفع مبلغا من المال حتى أحي عددا يقدر بالمئات من البنات التي حكم عليهن بالمؤودة .

[1] ـ عرفان محمود، المرأة والجمال والحب في لغة العرب،مؤسسة الرّحاب الحديثة، لبنان ـ بيروت،ط1، 1998، ص20.
[2] ـ مريم نور الدّين فضل الله، المرأة في ظلّ الاسلام، ص14.
[3] ـ المرجع نفسه ص16.
[4] ـالمرجع نفسه ص12

اختلف أوضاع المرأة في البلاد العربية من منطقة إلى أخرى فهناك من العرب من أعطوا للمرأة صورة أحسن من سواها، وهناك نسوة عربيات اشتهرن بالعقل و الحكمة و كن مرجعا للرجل في الرأي والمشورة، وتوّلت بعضهن أمر الحكم أمثال حاكمات قبائل بلاد الشّام ونخصّ بالذكر "شمس"، "زبيبة" و"سمير أميس"، إضافة إلى أنّهنّ يضفن للمعارك الإثارة والهمم ومداواة الجرحى

على عكس ما عرف من قهر المجتمعات القديمة للمرأة، كان الوضع في مصر ينبأ عن وجود عائلة متطوّرة للأم، لها مكانة محترمة فهي حرّة الرّأي وتلاقي الحب والتّقدير من زوجها.

يقول "بوتاح حوتب" في نصيحة لولده « إن كنت ناجحا وأثثت بيتك، وكنت تحب زوجة قلبك، فملأ بطنها وكسي ظهرها، وادخل السّرور على قلبها طوال الوقت الذي تكون فيه لك، ذلك أنها حرث نافع لمن يملكه، إن عارضتها كان في ذلك خراب»[1]

إنّ هذا الدّور المحترم للمرأة قد جذب إعجاب اليونانيون في وقت كانت الشعوب تعامل فيها المرأة معاملة العبيد.

يقول تيودور الصّقلي: «إنّ طاعة الزّوج لزوجته في وادي النيل كانت من الشروط التّي تنص عليها عقود الزّواج»[2]

[1] ـ يحي أحمد عيسى ، المرأة والخطيئة الأولى، ص 27.
[2] ـ يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة، ص27.

1. 3. المرأة في الإسلام:

بعد أن عانت المرأة حقبا زمنية طويلة في ظلّ المجتمعات القديمة من إهدار لكرامتها واحتقار لإنسانيتها وحرمانها من الغفران والإنزال بها إلى مرتبة الحيوان أتى الإسلام ليزيل عن وجهها كلّ هذا الطّغيان، ليعيدها إلى جنس بني آدم ويقرّر مساواتها بالرّجل ولما لا ؟ فكلاهما ذات أصل مشترك بحيث يتشاركان في الإنسانية.

يقول اللّه عزّ وجلّ: « يا أيّها النّاس خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، إنّ الله عليم خبير »[1]

لقد حاول الإسلام أن يواجه كلّ الأنظمة الجاهليّة التّي تؤيد وأد البنات، ولطم كلّ من يتضايق حتى من ولادتهنّ، وأخرج خبيثة نفسه المريضة بقرآن يتلى ويتعبّد به

لقوله تعالى:« وإذا المؤودة سئلت بأيّ ذنب قتلت »[2]

بل يراد بذلك أنّ الله جعل العناية بالبنات بابا من أبواب الجنّة حيث كان الرّسول (ص): «من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو أختان، فأحسن صحبتهن، وأتقى الله فيهما الجنّة»[3] ،إنّ هذا الترغيب بالأجر الذي يعطيه للإنسان على حسن اهتمامه ورعايته بالأنثى،

[1] ـ سورة الحجرات الآية (13)
[2] ـ سورة التّكوير الآيتين (8 - 9)
[3] ـ حديث شريف، رواه التّرميذي.

إنّما يعطيه على كلّ ولد صالح يخرجه للحياة، لكن الغرض من التّرغيب هنا هو دفع الظّن الذّي يتوهمه بعضهم بالاهتمام بالّذكر دون الأنثى.

خاطب الله عزّ وجلّ كلا من الرّجل والمرأة مطالبا إياهما بضرورة الانضباط، لا بل سبق الخطاب للرجل مخاطبة المرأة، لأنّ المسؤوليّة تقع عليه أكثر مما تقع على المرأة في حالة حدوث فعل شائن.

قال عزّ وجلّ: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أنّ الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ»[1] من خلال هذه الآية نستنتج أنّ هناك إرساء لقاعدة التّساوي بين الرّجل والمرأة، فكلّ واحد منهما مخلوق من نطفة ومتكون من رحم وخلقه بأمره ومشيئته.

والنّساء كما شرع الإسلام لا يكتمل المجتمع إلاّ بهنّ إضافة إلى الرّجل.

قال الرّسول (ص):«إنّما النّساء شقائق الرّجال »[2]

أي أنّهنّ شقائق يعود على دورهن في المجتمع وفي مواقع كثيرة يعود على المرأة أكثر من الرّجل، وليست المرأة مخلوقا هامشا كما يرى بعضهم، أو ذوات مواقع دونيّة كما ينظر إليها الآخرون، كما أثبت الإسلام أيضا في جملة ما نصّ عليه قرآنا وسنّة موقع المرأة الهام

[1] ـ سورة القيامة، الآية (12).
[2] ـ حديث شريف رواه أحمد أبو داوود والتّرميذي

ومكانتها خاصة في الأسرة، حيث قدمها على الأب في التّكريم، إذا كانت أما صالحة أدّت دورها المرسوم لها شرعا واجتماعيا بشكل عام وسليم.

جاء رجل إلى الرّسول (ص) فقال: « من أحقّ النّاس بحسن صحبتي؟ قال: أمّك؟ قال: ثمّ من؟ قال:أمك، ثمّ من؟، قال:أبوك»[1].

أكدّت كلّ هذه الشواهد وكلّ هذه الأحكام الفقهية على مكانة المرأة السّامية عند الله، إن هي اهتدت واستقامت.

قال تعالى: « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة، ويؤتون الزّكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك يرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم »[2].

وجدت المرأة راحتها في ظلّ الشّريعة الإسلامية الذّي منحها حقّها الشّرعي في اختيار الزّوج وأشعرها بمكارم الأخلاق ووضعها في منزلة واحدة مثل الرّجل، فعمدت إلى القيام بكلّ ما يوجبه عليها الدّين الإسلامي وأداء ما عليها من حقوق، ولو أنّ الله أراد أن تكون المرأة حاكمة على الرّجل لخلقها من رجله، لكنّه من ضلعه لأنّه أراد أن يجعلها شريكة للرجل ومساوية له.

[1] ـ حديث شريف، رواه البخاري.
[2] ـ سورة التّوبة، الآية (17).

قال الله تعالى « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على الرّجال نصيب، مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن»[1].

إذ كان الرجل شريك حقيقي فهي المرأة، أو ليس في هذا العالم مؤلف من ذكر وأنثى؟ فهي أم الرّجل وزوجته، وابنته ورفيقة دربه في جميع مراحل حياته، وديننا الإسلامي كرّم المرأة وجعل لها مكانة مرموقة في المجتمع، ويقول عزّ وجلّ أيضا: «هنا لباس لكم وانتم لباس لهن»[2].

نحن هنا لا نكتفي بذكر معاناة المرأة وتاريخها فقط، بل سنحاول الحديث عن المرأة في واقعنا الرّاهن وتأثيرها في المجتمع لاسيما دورها الكبير في النّهوض بمجتمع حضاري مميز ذو قيم إنسانية وأخلاقية تمتلك أدوات النّهوض، والتّقدم فهي لم تقف مكتوفة الأيدي بل حاولت النّهوض بنفسها واثبات كفاءتها وقدراتها، تنادي بحاجياتها إلى الإصلاح والمساواة.

[1] ـ سورة النّساء،(الآية31)
[2] ـسورة البقرة الآية (187).

1. 4. المرأة في الجزائر:

إنّ الحديث عن المرأة في تاريخها الطويل والمتنوع وتطرقنا إلى أوضاع المرأة العربيّة عامة ،لا يعنينا التّطرق لوضع المرأة في الجزائر فقد كانت عونا للرجل ومثارا لحبّه وتضحيته، فهي ليست أقّل منه قوّة وذكاء، وهو ليس أقد منها على القيام بمختلف الأعمال، فكانت عونا للرجل فكانت قضيتها قضية ملّحة ومفتوحة لطالما تحدّثت عنها الشّرائع السماوية والقوانين الوضعية: « كما استحوذت المرأة على العقول والقلوب، أمّا وأختا وحبيبة وزوجة أو خطيبة»[1]

لعبت المرأة في الحروب دورا كبيرا فيها، وذلك بإثارة روح الحماسة في صفوف الرّجال وتشجيعهم على بدل النّفس والنّفيس ، ولتحقيق النّصر لقبائلهم وكانت مثالا للشجاعة والتّضحية والبطولة، وقد سجّل التاّريخ نساء قدن المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي أمثال "لالة فاطمة نسومر" التّي كانت تمتاز بخصائص مميزة مكّنتها من قيادة الثّورة الشّعبيّة، وتمكّنت من تحقيق انتصارات على الجيش الفرنسي: « فأصبحت مضرب المثل في البطولة وأغنية كلّ شفاه »[2].

أما بالنسبة للأعمال الروائية التي عالجت قضية المرأة في الثورة الجزائرية من خلال نضالها وكفاحها إلى جانب أخيها الرجل فنجد رواية الحريق لنور الدين بوحدرة وغيرها من النماذج

[1] ـ صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائرية، ص17.
[2] ـ محمّد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط 1، 2005، ص 176.

التي رفعت شأن المرأة ومكانها في الثورة ،أين أثبتت جدارتها في الكفاح بمساعدتها الرجل، وكانت مثالا للشجاعة والتضحية من أجل حرية وطنها: « فالضمير الوطني هو الرّصيد الأساسي لأية ثورة ومعينها »[1]، وهذا ما نجده في المرأة الجزائرية أثناء التحرير.

توالت الأعمال الأدبية بعد الثورة بإبراز أهمية المرأة ومكانتها في المجتمع الجزائري ،ودورها الحساس إزراء التحويلات في جميع الميادين ومن بين هذه الروايات رواية ريح الجنوب لعبد "الحميد بن هدوقة" في "صورة نفيسة"، ورواية "غادة أم القرى" "لأحمد رضا حوحو" التي عدّ منها "واسيني الأعرج" بأنها أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر فقال عنها أنها ظهرت: « كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرّغم من أفاتها المحدودة »[2] هذا تأكيد أنّ موضوع المرأة في الرّواية الجزائرية موضوع أصيل ومتجذّر ينطلق بانطلاق الرّواية ويتطور بتطورها، ولدينا أيضا روايات أخرى كرواية واسيني الأعرج "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" رواية "رائحة الأنثى" الأمين الزّاوي الذّي تسلم أيضا صورة المرأة.

إذا بحثنا عن معالم الأنوثة في الرواية الجزائرية، فإننا نجدها قد اكتسحت مساحة جد مهتمة، أبرزت الرّواية الجزائرية الملتزمة صورة المرأة المحاربة الجنديّة والفدائية والممرضة المشاركة في حرب التّحرير، وفعاليتها وفعاليتها كدليل بارز على التّحول الاجتماعي الذي وقع في البلاد: « فضرورة المجتمع وحاجة الرجل إلىّ مساعد ،فسح المجال أمام المرأة

[1] ـ محمد صالح الجابري:الأدب الجزائري المعاصر ص 198
[2] ـ صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ص29

الجزائرية لإثبات ذاتها والدفاع عن وجودها والوصول إلى مزاحمة الرجل الاستشهاد في ساحة المعركة».[1]

كانت مساهمة حرب التّحرير الجزائرية وتطويرها في ميدان الحرب هو الموقع الذّي تساوى فيه الجزائري بالجزائرية يشتركان معا في واجهة الموت لتحقيق الهدف، وقد ترجم هذا الحضور بالفعل إلى تحوّل اجتماعي في الواقع الجزائري، فرواية "نجمة" لكاتب ياسين على سبيل المثال تصوّر دور المرأة في الحياة الذّكوريّة خير تصوير: « فالمرأة الجزائرية أثناء الثورة لم تكن ضدّ المستعمر فحسب بل كانت ضدّ الأفكار الباليّة التّي تميّز بين الذّكر والأنثى في الإنسانية»[2]

كانت الثّورة المسلّحة بمثابة النّفير العام، حيث هبّ الشّعب، للكفاح بكلّ ما يملك، وبما يستطيع، يتساوى في ذلك الذّكور والإناث تقول " بامية أديب": « لقد برهنت الحرب حقا على أنّها كانت الفترة الذّهبيّة في تاريخ المرأة الجزائرية، إذ أنّه في أعقاب اندلاع الثّورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعية المرأة »[3].

تقسّم "أديب بامية" تاريخ المرأة الجزائريّة في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل: الفترة الاستعمارية، فترة حرب التّحرير، وفترة الاستقلال.

[1] ـ ناء الزّاوي، صورة المرأة في الرّواية الجزائرية ، يومية الأمّة العربيّة، 18 ـ 11 ـ نوفمبر 2010.
[2] ـ صالح مفقودة، المرأة الثّوريّة في الرّواية الجزائريّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العدد 02، جوان 2002. ص02.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 02.

فالمرأة في الفترة الأولى (الفترة الاستعماريّة) كانت مظطهدة وتعامل أشبه ما يكون بالسلعة، ذلك أنّ الاستعمار الفرنسي عرف بقسوته على الأهالي، وتزيد الكاتبة " أديب بامية" السبب إلى« الطبيعة العامة للمجتمع الجزائري الذي كان يتميّز إلى حدّ بعيد بالمحافظة بالنظام الأبوي حيث كان كبار السّن لا يسمحون حتى بأقّل درجة من التّحرر من قبل الّرجال العائدين من المهجر»[1].

لقد اختلف وضع المرأة أثناء الثورة الجزائريّة عن الفترة الأولى التي تساوت فيها مع الرّجل، حيث أثبتت هذه الأخيرة جدارتها في الكفاح بمساعدتها الرّجل وهي تحمل السّلاح أيضا تقول الباحثة السالفة الذّكر:« لقد برهنت الحرب حقا أنّها الفترة الذهبيّة في تاريخ المرأة الجزائريّة في أعقاب اندلاع الثورة، ظهرت تغيّرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعيّة المرأة»[2].

كانت المرأة الجزائريّة عنصرا أساسيّا في الثورة الجزائريّة إذ وقفت إلى جانب الرّجل وتحمّلت مسؤوليات سياسية وعسكريّة، وكانت سندا قويّا للكفاح المسلّح، وأبلت المرأة سواء في الرّيف الجزائري أو في المدينة البلاء الحسن من أجل خدمة الثّورة وكانت مساهمتها في مختلف المستويات أتت فترة الاستقلال أين فرح الشّعب الجزائري بهذا النّصر المبين، وظنّ كلّ فرد أنّه سيصل إلى ما يصبو إليه، لكن الواقع كان مريرا، إلى درجة كبيرة، أين وجدت النّساء

[1] ـ صالح مفقوة، المرأة في الرواية الجزائريّة،ص 18.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 18.

أنفسهّن، يعدن للقهقري، حيث صار ينظر إليهنّ تلك النّظرة الاستغلاليّة، وكأنّ السنين السبعة لم تكن إلاّ استثناء للقاعدة وباشرا في مأساة طويلة.

إذ تصف الكاتبة "جولييت" هذه الفاجعة التّي أصابت المرأة الجزائريّة قائلة: « أخيرا جاء الاستقلال يوليو . تيمور سنة 1962، وأعيدت النّساء إلى بيوتهنّ بعضهنّ بوجه عام الأصغر كانت قد اعتقدت أنّ نضالها يمنحها حقوق سرعان ما ذاب أملّها»[1]

بالرّغم من نظرة المجتمع إلى المرأة لم تتغيّر بعد الاستقلال إلاّ أنّ التّي أثبتت جدارتها أثناء الثّورة ما كان لها أن تستسلم بسهولة فقد تأثر بالموقف التّحرري، وظلّت تطالب بحقّها في ميدان الشّغل والتّعليم.

[1] ـ صالح مفقودة، صورة المرأة في الرّواية الجزائريّة، ص 18.

2 ـ المرأة في عصر النّهضة:

المرأة عنصر فعّال في المجتمع الذّي حاول طمس شخصيتها ومحاربة أهّم تطلّعاتها، والتّغاضي عن دورها الحقيقي في البناء الحضاري والمساس بكرامتها، فهناك العديد من النّساء تألقن في ميادين الحروب، وضربن المثل الأعلى في الشجاعة، وهنّ برهانا ساطعا في الأعالي على أنّها: « صنو الرّجل وندّه، وهي الأثقل قوّة وذكاء وقدرة على الفعل منه، إذ ما أتيحت لها الظروف المناسبة »[1]، فلم يسبق لها أن كانت مسحوقة ومنهارة ومستعمرة وخادمة مثلما عليه الآن.

ويمثّل عصرنا: « أكثر العمليّات دناءة في تاريخ المرأة »[2]، إن تحوّلت هذه المرأة إلى آلة عاملة تنهمك أمام الأشغال الشّاقة، ممّا أدى بها إلى التّفرقة وإلى فقدان روحها وقيمتها وحرّيّتها الدّاخليّة في نفس الوقت كما اعتبرت « رمز متنقط بحيث تصعب معرفتها من خلال زجاج ضبابي من الإحساسات الإنسانية »[3].

بالرّغم من أنّ قضية المرأة أدرجت عموما ضمن قضية التّقدم والتّخلّف، وضمن مسائل حقوق الإنسان، إلاّ أنّه برزت نخبة من النّساء اللّواتي استطعن إثبات قدراتهنّ ومكانتهنّ في الدّاخل والخارج ومنافسة عالم الرّجال الذّي حاول طمس شخصيتها وكفاءتها.

[1] ـ يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة لأولى، ص 95.
[2] ـ بير داكو، المرأة بحث في سيكولوجيّة الأعماق، تر: وجيه أسعد، ط 3، مطبعة الرّباط، 1991، ص 17.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 165.

برهنّ التاريخ أخيرا: « أنّ ممارسة المرأة ودورها في حياة المجتمع ضرورة وطنيّة وقوميّة إنسانية»[1]، ولولا المجهودات التّي بذّلها المفكّرين والعلماء في العصور الماضيّة لتعليم المرأة وإدخالها في الحياة البشريّة والمهنيّة، لظلّت إلى يومنا هذا تحت قيادة الرّجل وسيطرته وخدمة مصالحه، والنّظر إليها على أنّها أداة إنجاب الأطفال لا حقوق لها تخضع فقط للواجبات التّي تملى عليها من قبل الرّجل، لكّنها استطاعت بفضل كفاحها المرير ونظامها المستمّر أن تحقّق عدّة مكاسب اجتماعيّة، واحتلال مكانة مرموقة في المجتمع فكان بمقدورها الاندماج بمختلف مجالات الإبداع والفنون، فظهرت المرأة الصحفيّة والأديبة والتّشكيليّة «فالمرأة هي الأرض الطّيّبة التّي تنبت بشرا وتكلأهم بعطفها وحنانها حتى يكبروا رجالا ونساءً»[2].

لهذا تستحق كلّ الاحترام والتّقدير، لأنّها تحترق كلّ يوم كالشّمع من أجل أن توفّر ونحقّق لأطفالها السعادة وتحافظ على صحتهم وحياتهم، وللكبار هناءهم وسعادتهم وللخروج من محنتها ومن الصّمت الذّي كان يسكنّها والاتصال بالعالم الخارجي، واقتحام الفضاء العمومي، اتخذت القلم وسيلة لإثبات الذّات والتّعبير عن واقعها المعيشي، راحت تلج عالم الكتابة بعد قوقعة دامت عصور طويلة، وأضحت روايتها تتصدّر الفضاء الإبداعي العربي فحاولت التّعبير عن مشاعرها بكلّ ما تختلجه من عوامل إحباط، والتّطّلع والأمل والمشاركة

[1] ـ يحي أحمد عيسى ،المرأة والخطيئة الأولى، ص 142.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 07.

للآخر والرّفض له أيضا، «إنّ تنوّع الكتابات النّسوية يحتل بشكل متزايد وملائم فضاء الإنتاج الأدبي »[1].

هكذا فالشكل الفنّي سيبقى وسيظل دائما مرآة عاكسة للواقع بكلّ جوانبه، حيث يترجم هذا الأخير مسارا تاريخيّا زاخرا بالأحداث لدى المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة،

« فالكتابة هي أداة أخرى لتأسيس علاقة جديدة مع العالم، اختارت المرأة الكتابة بناءً على المواجهة والمراوغة والاحتيال على واقع وشخوص، تصبح معها الكتابة أداة انتقام تصل حدود القتل، وفي هذا كلّه تنطلق من منطلق يقوم على استعمال الحواس بدل العقل، لتعطي صورة من علاقة المرأة بالكتابة، كقيمة تجسيد الكتابة كفعل مواجهة للاختفاء بالذّات واثبات حضورها »[2].

اتخذت المرأة في حدّ ذاتها الكتابة كهاجس للتّعبير عن واقعها المر، وخلق علاقات جديدة مع العالم ككّل، وحاولت أن تثبت ليونتها في مجتمع ظلمها ولم يسبق له بأن اعترف بوجودها ولا بدورها في الحياة: « فهي ليس كلمات على صفحات داخل كتاب، ولكّنها بناء نفسي ينهض داخل نفسية القارئ »[3].

[1] ـ محمّد داوود وآخرون: "الكتابة النّسويّة ـ التّلقي ـ الخطاب والتّمثلات"، المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة، منشورات CRASC، 2010، ص 14.

[2] ـ محمّد غزناط، الهويّة والتّخيّل في الرّواية الجزائريّة، قراءة معرفيّة، ط 1، رابطة أهل العلم ـ منشورات أهل العلم ـ منشورات الثقافة، الجزائر، 2008، ص127.

[3] ـ نبيل راغب، فن الرّواية عند يوسف السّباعي، النّاشر مكتبة الحاني، القاهرة، دط، 1999، ص52.

أمّا إذا حاولنا العودة إلى الرّواية النّسوية الجزائريّة والبحث في جذورها، سنجد أنّها أصبحت ذات حضور أقوى ممّا كانت عليه خاصة عندما دخل العنصر النّسوي في مجالي القصة والرّواية، وتثبت حضوره الفعلي كذات فاعلة في الخطاب الرّوائي وليس مجرّد موضوعا منظورا إليه.

كما تعدّ الرّواية الحقيقيّة للروايّة الجزائريّة من رواية "يوميّات مدرسة حرّة " " لزهور ونيسي" التّي تمثّل منعرج الكتابة النّسويّة الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة، فكانت بمثابة الأرضيّة المناسبة لظهور مناخ مناسب إذ كانت تربته صالحة لبزور جيل من المبدعات ساهمت في إثراء الأدب الجزائري أمثال " أحلام مستغانمي" بثلاثيتها الشهيرة، "ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير" ولا ننسى"ياسمينة صالح" بروايتها "بحر الصمت"

« لا يتعلّق الأمر بالجانب النّسوي، فالكتابة قبل كلّ شيء تجسيد للطبيعة البشريّة، بغضّ النّظر عن جنسه أو سنّه، ولا أكتب لأنّني امرأة، بل أكتب لأنّني أومن بها ليس لأروي مشاغل امرأة بل لأكشّف العالم من حولي وأتصالح معه، أكيد أنّ كتابتي تعكس طبيعتي الأنثويّة، وذلك باعتقادي يمثّل خصوصيّة لابد منها، لأنّنا لا يمكننا التّجرّد من طبيعتنا، ولكلّ كتابة مميزاتها سواءً تعلّق الأمر برجل أو امرأة»[1]

أزالت الرّواية النّسويّة الهيمنة الذكوريّة وخرجت عن دائرة الشّيئية والاستهلاكيّة، لتفرض كيانها ووجودها ككائن مستقل بمنظورها ورؤيتها، وزاوية واهتمامها.

[1] ـ بشيرمقني، المرأة والكتابة، الجزائر،WWW . al hayat . com / Details / S62135

: «إنّ علاقة المرأة بالممارسة الأدبيّة والمكانيّة التّي احتلتها في تاريخ الكتابة الأدبيّة يجب أن ينظر إليها من زاويتين طبعا في سيرورة الإبداع النّسوي وتطوره، زاوية الخلق والإبداع التي تبدو من خلاله المرأة كذات فاعلة ومنتجة، والزاوية التّي تنحصر فيها المرأة كمادة الاستهلاك، يستمد منها الرّجل المبدع إنتاجه الفنّي»[1].

ومن هنا فإنّ إبداع المرأة غاية ووسيلة في آن واحد، غاية لأنّها حقّقت هدفها في الإبداع، ووسيلة لأنّ الرّجل استعمله في زيادة إنتاجه الفنّي

تبقى فكرة البحث في سؤال الكتابة عند المرأة من خلال الرّواية، كعمل تطبيقي بحكم النّصوص، ويصغي لأدّق جزئياتها، فالكتابة: «أروع مزيج بين قدرة العقل، وسلطة اللّغة، وسحر الخيال وقدوسيّة الخط، إنّها بيان الإنسان إلى ذاته، ليذكر دائما أنّه أجمل مخلوق أعطاه الله من روحه ما لم يعطيه غيره »[2]

هكذا وجدت المرأة حاملة لغتها على جسد قلمها، معبّرةً عن أنوثتها، جاعلة نفسها محور الوصف والتّعبير، فهي ليست الأداة التّي يكتب بها، بل هي الكاتبة والمؤلّفة، مدينة له، خادمة لطموحاته، فأرادت التغيير بجعل ذاتها شخصية فاعلة، جسدا صامتا ينظر إليه على أساس لذّة، بل جسد يتفاعل مع الحياة.

[1] ـ رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة، دط، افريقيا ـ الشّرق، 1994، ص 07.
[2] ـ لحبيب السايح، الكتابة عن الكتابة، مجلّة الثقافة، الرّواية الجزائريّة، مسارات وتجارب، وزارة الثّقافة والاتصال، العدد الجديد بعد 118، فبراير 2004، ص 12.

1 . الكتابة النّسوية:

لازالت الكتابة بكلّ أشكالها من اهتمامات المرأة الجزائريّة، ومن خلالها استطاعت أن تعرّف بوضعها وأن تعبّر عن العديد من قضاياها، وكما كان للكاتب باللّغة الفرنسيّة حضوره كان للمرأة أيضا حضورها مماثّلا في العديد من الكتابات اللّواتي عبّرنّ بهذه اللّغة، واستطعن، فرض أنفسهنّ في الساحة الأدبيّة، إذ أصبحت: « الكتابة عند المرأة علامة على وعي جديد يدخل عالمها النّسائي الساكن الهادئ، المصاب، عالمها الطّاعم الكاسي حسب الكناية عنها»[1]

ودخول المرأة عالم الكتابة هو خروج من عالم الظّلام، خروج من الحدر الصّقيع، وهذا الخروج هو هجرة من الموطن إلى المنفى، ومن هنا فإنّ الكتابة بالنّسبة للمرأة منفى ومعتزل، حيث تنفصل عن موطنها القار الساكن إلى موطن متحرّك متحوّل هو الكتابة.

نحن أمام أنثى جارحة، تعرف مالها، تدير حساباتها بين أمل ماض، وحاضر تحسّن، فلا تجد ما يقنعها غير الكتابة التّي تعني عندها: « ذلك الوجع الذي ظلّ يسكن أعمالها ليس جروحها النّازفة»[2] .

إنّ المرأة الكاتبة في معركة دائمة ومستمرّة من أجل ثبات أهميّة ما تؤمن به من قضايا وأفكار، وسلاحها في ذلك شخصيتها وطبيعتها المؤمنّة، لأنّ استعارتها لأساليب الذّكر ظنا

[1] ـ عبد الله محمّد الغدامي، المرأة واللغة، ط 3، المركز الثّقافي العربي ـ الدّار البيضاء، بيروت، 2006، ص135.
[2] ـ يازيد فاطمة الزّهراء، بين سلطة المرجع وحريّة المتخيّل، رسالة دكتورا غير منشورة، جامعة باتنة، 2010- 2012 ، ص58.

منها أنّ الأمر سيكفل لها بالنّجاح والانتشار والقوّة في التّعبير، بهعنى أنّ الكاتبة والكتابة النّسائيّة سوف تحقّق حريّتها وانطلاقها كلّما تيقنت المرأة من قوّتها، وكلّما كتبت بوصفها امرأة، وكلّما أصرّت على نفسها ستزداد قوّة نفسها.

« لقد كان أدب المرأة رسالة مقاومة ودفاع ضدّ كلّ أشكال القهر المادي والمعنوي، وساهم في تمزيق النّفاق الاجتماعي، وفضح الازدواجية التّي تعرقل تقدّم المرأة المبدعة، وتحدّ من عطائها»[1]

الملاحظ هنا أنّ كتابة الأنثى بما تحمّله من دلالات تريد أن تبرهن بأنّها تنتمي إلى مملكة الكتابة الرّجاليّة، ولكّن عندما تطرد هذه الأخيرة من عالم الكتابة، فإنّها ستعاني حزنا وقهرا حين تكثر عليها التّهم والشّائعات

[1] ـ د: نورة بعيو، الرّواية النّسائيّة في الجزائر، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، 28 - 29 ماي 2013، ص 89.

1 ـ 1 ـ المرأة في الشّعر:

شكّلت نظرة المرأة الشاعرة للآخر وعدم تجاوز إشكاليّة الجسد في النّصوص النّسائيّة محور نقاش الكثير من الأدباء والنّقاد، فرضهم الاهتمام المبالغ في المتدخلين من المتتابعين المتخصصين بنوعية وطبيعة المعالجة في النّصوص الشعريّة النّسائيّة، حيث عاب الكثيرون على استمرار النّظرة السّطحيّة لإبداعات المرأة الإبداعية، وتحدّث البعض عن استمرار الاهتمام المبالغ في أعمال المرأة متسائلة عن أسرار تعاطي الشاعرة أو المبدعة العربيّة مع الجسد في الشّعر واستعراضه في مجمل القصيدة سواء كانت شعريّة أو نثريّة، أو حتى في السّرد.

: « تستمد اللّغة الشّعريّة في الكتابة النّسائيّة طاقتها من الجسد، حيث تمنح الفاعليّة للمرأة من خلال جسدها الذّي يمدّها بالاندفاع والحركة اتجاه الآخر، وهنا تكمن لذّة الالتحام والاختراق في إطار وعيها بالآخر المذّكر، تلمس أثناءها قدرة المرأة المبدعة في استثمار قدرة الجسد لتأنيث مساحتها السّرديّة بعيدة عن سطوة المجتمع وقيده »[1]

هكذا وجدت المرأة حاملة لغتها على جسد قلمها معبّرة عن أنوثتها جاعلة نفسها محور الوصف والتّعبير، فهي ليست الأداة التّي يكتب بها، بل هي الكاتبة والمؤلّفة، أرادت التّغيير بجعل ذاتها شخصية فاعلة لا جسدا صامتا.

[1] ـ د: نورة بعيو، الرّوايّة النّسائيّة في الجزائر، ص165.

إنّ في المرأة قدرات خلاّقة وحيويّة ربّما لا نجدها في الرّجل، فقد منحتها قدرة الله الرّقة والعذوبة، وقد اقتضت وظيفة الأمومة أن تكون المرأة أكثر حساسيّة من الرّجل وأسرع استجابة وأسرع استجابة للمؤثرات « فالمرأة هي الواحة الخضراء في صحراء الحياة، والمرأة قصيدة الدّهر، وأغرودة الأبد»[1]

سجّل التّاريخ لبعض النّساء العربيّات مآثر ونبوغا في فترات زمنيّة متقطّعة في العقل والعلم والأدب فحفلت كتب التّاريخ، والأدب بالأدبيّات والشّاعرات العربيّة في شتى العصور، لم تقتصر العناية بالأدب على الرّجال وحدهم، فقد نبغ من النّساء عدد كبير ضربن بسهم وافر في الأدب، وكنّ أمثلة تحتذى في قوّة البيان وفصاحة اللسان، وقوّة المعارضة منهنّ "الخنساء": « فقد كانت خطيبة مؤثّرة، وشاعرة بارعة ولعلّ سبب قوّتها الأدبيّة وتأثيرها يرجع إلى أنّها مرّت بتجارب وأحداث كثيرة مختلفة، انعكس أثرها على نفسها فصقل أسلوبها أضاف إليه الحنكة والتجربة والصّلابة وشدّة الأمر»[2]

تكمن روعة شعر الخنساء في العاطفة الصادقة والإيقاع الحزين، ممّا كان مثار إعجاب العديد من الشّعراء والنّقاد في ذلك العصر، حتى أنّهم فضّلوا شعر الخنساء على شعر فحول الشّعراء.

ومن شعرها قولها البسيط:

[1] ـ محمّد بدر معبدي، أدب النّساء في الجاهليّة والإسلام، مكتبة الآداب ـ المطبعة النّموذجيّة (سكة الشابوري)، دط، ص 09.

[2] ـ المرجع نفسه،ص10.

ضاقت بي الأرض وانقضت مخاربها متى تخاشعت الأعلام والبيد

وقائلين تعزي عن تدكـــــــــــــره فالصّبر لأمر الله مـــــردود

يا صخر كنت بدرا تستضاء بـــــــه قد تثوى يوم من المجد والجود[1]

ولها أيضا:

يا صخر تعدك هاجني استعباري شانيك بذلة وصغـــــــار

كنّا نعدك لك المدائح مـــــــدّة والآن صرت تناح بالأشعار[2]

تفتقت قريحتها الشّعريّة بعد موت أخويها صخر ومعاوية فبكتهما شعرا كالدّم حتى عميت، أرسلت أولادها الأربعة إلى القادسية، وودّعتهم قائلة: أي بنيّ لقد أرسلتهم ضائعين، وهاجرتهم مختارين، فإذا أصبحتم غدا فاغدوا إلى عدوّكم مستبصرين، وذهب أولادها إلى القتال فاستشهدوا جميعا، فقالت الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، وقالت الخنساء في شأن ذلك:

ولولا كثرة الباكين حولـــــي على إخوانهم لقتلت نفسي.[3]

يذكّرني طلوع الشمس صخرا وأذكره لكلّ غروب شمـس.

[1] ـ أحمد أبو شاور، موسوعة أميرات ـ الشعر العربي، دار أسامة للنشر، الأردن، 2003، ص 154.
[2] ـ المرجع نفسه،ص 155.
[3] ـ عبد عون الرّوضوان ، موسوعة شعراء الإسلام والعصر الأموي ، دار أسامة للنشر، الأردن، 2001، ص 133.

نازك الملائكة:

نازك الملائكة اسم لامع في سماء الشّعر العربي الحديث فهي رائدة كبيرة من رواد الشّعر الحرّ طالما إلى السّياب بوصفهما رائدي الشّعر الحر، يتصف شعرها برهافة الإحساس وحدّة الألم، فهي كامرأة شرفيّة حلمت بأن تأخذ من الحياة الكثير ولكّنّها فوجئت بألف قيد وألف سدّ وقالت في قصيدة " جامحة الظلال" من ديوانها "شظايا ورماد".

أخيرا لمست الحياة

وأدركت ماهي أيّ فراغ ثقيل

أخيرا تبيّن سرّ الفقاقع واختيباه

وأدركت أنّ أضعت زمانا طويل

ألمّ الضّلام وأخبط في ظلمتي المستحيل

ومرّت عليّ اللّيالي

وها أنا أدرك أنّي لمست الحياة

وإن كنت أصرخ واختيباه[1]

[1] ـ عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب من الجاهليّة حتى نهاية القرن العشرين، جزء 02، دار أسامة، الأردن، ص589.

ظلّ شعر نازك الملائكة عبر جميع المراحل ملّفا بالكآبة والحزن والشّكوى الموجعة، ممّا يؤكد أنّها نهلت من رومانسيّة المهجر، وبدأت كتابة الشّعر عندها بالأسلوب التّقليدي ثمّ تحوّلت عنه إلى الشّعر الحر، كما انتقلت في مرحلة لاحقة من شاعرة رومانسيّة إلى شاعرة رمزيّة

كتب عنها نزار قباني عند صدور ديوانها الأخير في دراسة سريعة لاهته وقال: « إنّ نازك الملائكة شاعرة تساوي ثروة وهي إحدى البنيات الشّعريّة التّي قلّ إن ارتفع مثلها في الأدب النّسائي، فشعر النّساء في أدبنا فطير ولبين العظام وقد شاركت عوامل حياتيّة أو دينيّة، أو وراثيّة في إعاقته وإفقاره وتخلّفه، وقد كانت حتما على شاعرة مثل نازك الملائكة أن تأتي لتمزّق الأسطورة تفوق الرّجل على المرأة في المجال الذّهني»[1]

صدر لها الدّوان الشّعري الأوّل بعنوان " عاشقة اللّيل" عام 1947، فديوانه يرسم حياة قلق وظلام وألم تقول:

رأيت الحياة كهذا المساء

ظلام ووحشيّة جوّ... كئيب

ويعلّم أبناءها بالضّياء

[1] ـ ليلى الصّباغ، من الأدب النّسائي المعاصر العربي والغربي، ط1، منشورات وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، دمشق، 1996، ص 57.

وهم تحت ليل عميق رهيب[1]

بعد أعمالها عاشقة اللّيل 1967، شظايا ورماد 1949، وقرارة الموجة 1957، وقضايا الشّعر المعاصر 1962، تصدر الشّاعرة مجموعة من القصص القصيرة بعنوان " الشمس التّي وراء القمّة" فهي في جلّ القصص: « تعبّر عن ارتباطها الوثيق بالمنزل الذّي ولدّت فيه والوطن الذّي نشأت على أرضه وعاشت، والقوم الذّي تنتسب إليه»[2]

ربيعة العدوية:

إذا عدّت سمات الحسن، وصفات الجمال، فحسن المنطق أروعها وأبدعها وأملكها للأنفس وأحدّها بالقلوب، لأنّ معالم الجمال الحسّي تستمد روعتها من البدن وحدّه، وأما جمال الكلام فوسط عدل بين الرّوح والبدن، إذ عرفت المرأة في مختلف أطوارها بالإكثار من فضول القول والإرسال من حواشيه لتبليغ من نفوس جلساءها: « فإنّ المرأة العربيّة قد بلغت ذلك وتجاوزته بما ملك أسلوبها من دقة وبراعة وسماحة رأي وحسن بيان»[3]

نجد هذا كلّه في العابدة، الزّاهدة، البصريّة، رابعة العدوية، فهي امرأة عاشت حياتها عكس سائر النّاس، انعزلت في دنيا التّصوّف، بعيدة عن أمور الدّنيا، كانت امرأة خاشعة كما قال الذّهبي في السّير ونقل عن أبي سعيد الأعرابي قوله: « أمّا رابعة العدوية فقد حمل

[1] ، ليلى الصّباغ، من الأدب النّسائي المعاصر العربي والغربي، ص 59.
[2] ـ د:ابراهيم خليل حبيلة، في السّرد والسّرد السوي، دط، مطبعة السّفير،وزارة الثقافة للنشر، عمان الأردن،2008، ص 222.
[3] ـ نعيم مجاهد عودة، أدب المرأة العربيّة ـ الشّعر والنّثر والحوار، ط 1، دار فيداء، عمّان، 2010، ص 111.

النّاس منها حكما كثيرة، وحكى فيها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدلّ على بطلان ما قيل عنها من اعتقاد الحلول والدّعوة إلى الإباحة»[1].

دخلت رابعة طريق العباد والزّهاد، طريق البكاء والخوف، طريق التّجهّد في اللّيالي الطّويلة،

كانت تحضر حلقات المساجد والأذكار، واتخذت حياتها في حلقات الذكر والوعظ، وقد كانت تصلي الليل كلّه، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة حقيقية حتى يسفرّ الفجر تقول: « يا نفس كم تنامين؟ إلى لم تقولين يوشك أن تنامي نومةً لا تفوقين منها إلاّ ليوم النشور»[2].

اشتهرت في التّاريخ بما قدّمته من جهد وورع ومعرفة لربّها، وقد كان لمجاهدة نفسها أثر عظيم في حقل الدّعوة إلى الله بالقدوة والعمل الصّالح.

: « كانت رابعة العدوية تصلي ألف ركعة في اليوم واللّيلة فقيل لها ماذا تريدين بها؟ قالت لا أريد به ثوابا وإنّما أفعله لكيّ يسرّ به رسول اللّه يوم القيامة فيقول للأنبياء: أنظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها»[3]

[1] ـ الشّيخ محمّد صالح، الإسلام سؤال وجواب، 19 أفريل 2016، www. Islam QA. COM

[2] ـ المرجع نفسه.

[3] ـ منير عتية،نبذة عن رابعة العدوية، WWW. Iislamonline. Net / cot. Arabic dowaliya/machaher-11a.asp

كانت لرابعة العدوية أحوال شتى، فمرّةً يغلب عليها الحب ومرّة يغلب عليها اليأس ومرّة الخيانة، لكن العشق الإلهي يبق طابعها المميز ورائدها في تصوفها.

1 ـ 2 ـ المرأة في القصة والرّواية:

أ ـ غادة السّمان:

عرفت المرأة العربيّة في مختلف أطوارها بالإكثار في فصول القول والإرسال من حواشيه كتاب اللّغة من نفوس جلساءها، فإنّ المرأة العربيّة قد بلغت ذلك وتجاوزته لما ملك أسلوبها من دقّة وبراعة وسماحة رأي وحسن: « وقد كانت غادة السّمان مفاجئة لجيلها من الرّجال والنّساء لأنّها قدّمت نموذجا جديدا على الحياة العربيّة المحافظة، جديد في الفكر والسّلوك ومن هنا كان إبداعها الأدبي مغايرا ومختلفا عن القيم الأدبيّة السّائدة في الوطن العربي»[1].

وهي بالطّبع ليست مقطوعة الصّلة بتراثها الأدبي، فهي جزء من التّقاليد العريقة لأدب بلادها وهي أيضا « تجربة البنت الشّابة التّي تركت وراءها الحياة البورجوازيّة لتعمل وتعيش في عالم قاس سريع التّغيّر»[2]

غادة السّمان كاتبة مكثرة غريزة الإنتاج، ومن أكثر الأدباء مبيعا وانتشارا، كما أنّ ترجمة مفصّلة لحياتها شبه منعدمة: « فالموجود منها كتب صدرت في السّبعينات أي بعد أن نشرت، رحيل المرافئ القديمة في بيروت سنة 1973، ففي مجموعة الأقاصيص هذه تعبّر

[1] ـ د: إلهام غالي: غادة السّمان، الحبّ والحرب، الرّواية في علم الاجتماع الأدبي، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص 06.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 07.

الكاتبة عن آراءها بشأن هزيمة العرب عام 1967، والثّورة الفلسطينيّة ونشاط المقاومة الذّي أحدثته إلى جانب أحداث بارزة في الوطن العربي»[1]

لم تكتب غادة السّمان الرّواية حتى عام 1974، حيث شرعت في كتابة " بيروت 70"، وكانت تكتب القصّة القصيرة طوال حياتها وأهّم منتجاتها في القصّة كتاب " رحيل المرافئ القديمة" الذّي كتبت قصصه السّتة على أثر الهزيمة العربيّة 1967، لكنّها في أواخر عام 1974، وقبل بداية الحرب اللّبنانيّة، فاجأت القراء بروايتها القراء بروايتها الأولى، التّي سجلت البدايات غير المرئية للحرب وهي رواية قصيرة من حيث الحجم، وأثناء الحرب نفسها أنجزت روايتها الثّانيّة الطّويلة هي " كوابيس بيروت" [2]

ظهرت قدرات غادة السّمان في الكتابة عندما كانت طالبة، وبتشجيع من مدرسة اللّغة العربيّ، وكان اهتمامها بالقصص القصيرة الحافز الأساسي على رغبتها في قضاء وقتها في القراءة والكتابة تقول: « القصّة عندي تبدأ بإحساس كوني قلقة ومضطربة، كأنّ في جوفي كوكب من الحمم المضغوطة، ما إن انفجر وتبلور بعد بهذا الإحساس الغامض، أبدأ دونما تخطيط مسبق، أكتب القصّة القصيرة دفعة ما، وإذا حدث أن اضطرّني أمر لتركها قبل أن تنتهي ضاع مناخي النّفسي، وعجزت عن إتمامها أتركها لأيام ثمّ أعود إليها وغالبا لا أعدّل شيئا فيها»[3]

[1] ـ حنان عواد، قضايا عربيّة في أدب غادة السّمان، ط 1، دار الطّليعة، بيروت، أكتوبر 1989، ص 68.
[2] ـ ينظر: إلهام غالي، غادة السّمان الحب والحرب، ص 07.
[3] ـ المرجع نفسه، ص 39

يمكن وصف غادة السّمان بأنّها شخصية متكاملة قويّة قادرة على التّكلّم والكتابة بثقة عن عدّة قضايا مثيرة للجدل عن المجتمع العربي

تبدي غادة في بعض كتاباتها اهتماما بالغ بدور المرأة في الوطن العربي، وإنّ قضيّة المرأة العربيّة هي نفسها قضية الرّجل الثّوري، كانت تتبذها بشدّة وتعطي لها أهمية كبيرة في الحياة فغادة السّمان: « تدعو إلى تحريرها من القيود، التّقاليد، وتنظر إلى حركة التّحرير هذه على أنّها تأبى الانفصال عن جميع المشكلات الرّئيسيّة التّي تواجه العالم العربي»[1]

تقول أيضا: « من الضّروري أن تبدأ التّحالف للوعي بين المرأة والرّجل ضدّ عدوهما الحقيقي»[2] .

من مؤلفات غادة السّمان "عيناك قدري"، " لا بحر في بيروت"، " ليل الغرباء"، " بيروت 75"، " حب"، " أعلنت عليك الحب"، " اعتقال لحظة هاربة" و"اعتقال خرافة"...الخ وكلّ هذا مثّل تطورا عظيما في نتاج غادة السّمان باعتبارها أديبة وناقدة في العالم العربي، وذاع صيتها على السّاحة الأدبيّة.

[1] ـ حنان عواد، قضايا عربيّ في أدب غادة السّمان، ص 50.
[2] ـالمرجع نفسه، ص158

صارت الكتابة بحثا عن أفق أوسع للحريّة تحقّق فيه المرأة توازنها المفقود بين ذاتها الدّاخليّة، وذاتها الاجتماعيّة بين ما ترغب فيه بإعلانه، وبين ذلك المسكوت عنه، والكاتبة الرّوائيّة تجد في بطلتها وسيلة الاعتراض التّي تحقّق لها هذا الهدف، وتكاد تكرّر ما قاله الرّوائي الفرنسي الشّهير بلزاك: « أنا سعيد لكوني روائيا، لأنّني استطعت من خلال شخصيات أبطالي أن أبوح بكلّ ما لم أكن أجرأ على البوح بنفسي»[1]

حقّقت المرأة الجزائريّة في كتاباتها الأولى نوعا من التّحرّك الفكري، الحضور الاجتماعي، وقد اتخذت الكتابة النّسويّة الجزائريّة ما كان في المشهد الثّقافي العربي، وبرزت الكثير من الكاتبات الجزائريات، والمبدعات اللواتي نلن الجوائز والرّواتب الأولى، وكان حضورها في الكتابات الإبداعية كالقصّة والرواية يتمثّل في إبراز حضورها في الحرب والحياة الاجتماعيّة : « فأسّست بذلك حقلا اجتماعيّا وأدبيا تجمع فيه أصول الكتابة لصور مختلفة، حاولت فيه المرأة إثبات وجودها وصمودها أمام الرّجل الذي همّ بجعلها أداة لكتاباته»[2]

ب . طاوس عمروش:

طاووس عمروش أوّل روائيّة في تاريخ الجزائر، كانت واحدة من النّساء اللائي عرفتهنّ الجزائر من جيل المثقفات السّابقات لجيلهنّ، وهي أوّل امرأة مثقفة بالمعنى الحقيقي في القارة الإفريقية، وكانت البداية الحقيقيّة للكتابة النّسائيّة الجزائريّة باللّغة الفرنسيّة مع آل عميروش :

[1] ـ نزيه أبو نضال، حدائق الأنثى ـ دراسات نظرية وتطبيقيّة في الابداع النّسوي، ط 1، دار أزمنة عمان، 2009، ص 45.

[2] ـ محمد داوود وآخرون: الكتابة النّسويّة التّلقي ـ الخطاب ـ التمثلات. ص 247.

« بدأت طاوس عميروش في الحالة المدنيّة، ماري طاوس عميروش مشوارها الأدبي برواية "الزّنبغة السّوداء" التّي صدرت في 1927، تلتها رواية " حيّ الطالبين" عام 1960، بتوقيع مارغاريت طاوس عميروش، ثمّ رواية "العاشق الوهمي" عام 1975، فرواية "الوحدة أمّاه" عام 1976»[1]

تدور جلّ رواياتها حول تجربة المنفى جراء ازدواجية الانتماء، كانت لها تداعياتها في حياة الرّوائيّة ليس على المستوى العلائقي الفرطي والاجتماعي فحسب، بل على المستوى كذلك، وكانت الكتابة بالنّسبة لعمروش وسيلة لإعادة امتلاك نفسها فتكتب باللّغة الفرنسيّة كما لو أنّها تشرّح نفسها: « تدشّن طاوس عمروش كتابة روائيّة باللّغة الفرنسيّة سنة 1947. وتتمرّد على الدّور الذّي رسمه لها وسطها الاجتماعي، دور الفتاة المطيعة والزوجة الوديعة ، والأم المهتمّة، وتكتب رواية يمتزج فيها الخيالي بالسّير ذاتي عنوانها " ياقوتة سوداء"»[2]

رُسمت معالم الكتابة النّسويّة لدى عمروش في دفاتر الصّفر، ونصوص روائيّة، وقصص تحمل حقائق تاريخيّة ولمحات فنيّة، وتأملات نسائيّة.

ب ـ آسيا جبار:

عندما تمارس المرأة الكتابة يعني ذلك أنّها قد أدركت مدى خطورة فعل الكتابة وأنّها واعيّة بما يحيطها فهي تكتب لتقول للآخر بأنّها ليست مجرّد جسد أنثوي يشتهى، إنّما إنسان

[1] ـ نورة بعيو، الرّواية النّسائيّة في الجزائر، ص 14.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 48.

يعي ويفكّر، ويضعون هذا المسار الإبداعي في آسيا جبّار أمام جملة من الإشكالات المرتبطة بنشاطها الأدبي الذّي تتوزّع فيه الأجناس الأدبيّة من رواية وشعر وقصّة، ومسرحيّة : « فهي منذ أوّل رواية لها وهي " الظمأ" سنة 1957، إلى آخر ما صدر لها سنة 2007، "بوابة الذّكريات" تقوم بعمليات التّجريب مستغلّة في ذلك موسوعاتها الثّقافيّة كالتّاريخ وتاريخ الثّورة الجزائريّة بالخصوص، مثلما يتجلى في رواياتها " أطفال العالم الجديد" "والقنابر الساذجة" "والحب والفانتازيا"» [1]

تبقى تجربة فاطمة الزّهراء إيمالين، وهو الاسم الحقيقي لآسيا جبار فريدة من نوعها وهي الوسيط الشّعري النّابع من التّجربة الشعوريّة الدّاخليّة والتّعبير عن مختف الرؤى والانفعالات اتجاه الذات والآخر: « فهي تمثّل التأسيس والتّأصيل للرواية النّسائيّة الجزائريّة»[2]

عملت جبّار على تفعيل السّاحة الأدبية السّنويّة الجزائريّة وتطوير أفقها النّظري والجمالي وتحكّمت تحكما كبيرا بآليات النّص الرّوائي، وقدرة عالية على تفجير الخطاب وتحرير اللّغة وتكتسي بذلك علاقة المرأة بالكتابة.

توقفت آسية جبار عن الكتابة الرّوائيّة في السّبعينات قرابة عشرة سنوات، تفرّغت فيها إلى الإنتاج السينمائي « فأخرجت فيلم " نساء شنوة" عام1979، وفازت بجائزة دوليّة في مهرجان

[1] ـ آمنة بلعى ـ بوجمعة ستوان وآخرون، ملتقى دولي حول الأديبة الجزائريّة آسيا جبار، تجربة الكتابة عند آسيا جبار، مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، 9 - 10 - 11، نوفمبر 2013.
[2] ـ نورة بعيو، الرّواية النّسائيّة في الجزائر، ص 15.

البندقيّة، وتوّج فيلمها الثّاني " زردا أغاني النّساء" الذّي أخرج عام 1982 بجائزة أفضل فيلم تاريخي في مهرجان برلين السّينمائي»[1]

ازداد الاهتمام بالرّواية السّنويّة الذّي جبّار كتابة ونشرًا: « لتعود جبّار إلى السّاحة الأدبيّة بكتاب "نساء الجزائر في بيوتهنّ عام1988"، وفيه تجميع للنصوص مكتوبة منذ أكثر من عشرين عاما، واللّجوء إلى لوحات المستشرفين حول المرأة الجزائريّة. وفي عام 1985 نشرت رواية "الحبّ"، " الفنتازيا"، تجمع الرّواية بين التّاريخ والسّيرة الذاتيّة، وفي عام 1987 تأتي رواية " بعيدا عن المدينة"، وفي عام 1991 إبان العشريّة السّوداء للجزائر عرضت الرّوائيّة أصواتا نسائيّة من التّاريخ الإسلامي وتحديدا منذ وفاة الرّسول (ص)»[2]

تعمل آسيا جبّار باستمرار على إثارة موضوعات مهمّة في أدبها فيما يخصّ الكتابة والهاوية، ظهرت كتاباتها في ثنائيات عدّة مثل " لغة الكتابة"، " اللّغة الأجنبيّة"، و"اللّغة الشفاهيّة"، ركّزت على أهميّة العلاقة بين الكتابة والمرأة، الصّوت والجسد، "صوت الأجداد"، و"الوصايا الأبويّة"، كما حاولت في كتاباتها بصفة خاصة إعادة النّظر في صورة المرأة « جعلت آسيا جبّار من إشكاليات اللّغة والمرأة، ولغة الجسد، سمات أساسيّة للتعبير عن الهويّة في أدبها،

[1] ـنورة بعيو،الرّواية النّسائيّة في الجزائر، ص16
[2] ـ ينظر: المرجع نفسه، ص 16 - 17.

فتشكّلت لديها ثنائيات عدّة تؤسّس منظومتها الإبداعية والسّرديّة، اللّغة، الهويّة، المرأة، الكتابة، اللّغة، الجسد، الكتابة، الحريّة، لغة الأم، اللّغة الأجنبيّة»[1]

ندّدت جبار باستمرار على إثارة موضوعات مهمّة في أدبها فيما يخصّ الكتابة والهويّة، ظهرت كتاباتها في ثنائيّات عدّة، مثل لغة الكتابة، اللّغة الأجنبيّة، واللّغة الشّفافيّة، ركّزت على أهميّة العلاقة بين الكتابة والمرأة، الصّوت والجسد، صوت الأجداد، والوصاية الأبويّة، كما حاولت في كتاباتها بصفة خاصة إعادة النّظر في صورة المرأة.

« جعلت آسيا جبّار من إشكاليات اللّغة والمرأة ولغة الجسد بسمات أساسيّة للتعبير عن الهويّة في أدبها، فتشكّلت لديها ثنائيات عدّة، تؤسّس منظومتها الإبداعية والسّرديّ، اللّغة، الهويّة، المرأة، الكتابة، اللّغة، الجسد، الكتابة، الحريّة، لغة الأمم، اللّغة الأجنبيّة»[2]

ندّدت جبار من خلال هذه الموضوعات بالسّلطة الأبويّة والمجتمع الذّكوري وروحها حسب توضيحها

بالرّغم من بعض تصريحات آسيا جبّار المثيرة الجدل في الصّحف حول الهويّة واللّغة العربيّة خاصة في حوارها مع الإماراتية.

[1] ـ بولفعة خليفة: مجلّة الأثر ـ الهويّة والمرأة في أدب آسيا جبار ـ تفكيك النّسق وكسر المحضور، جامعة محمّد الصّديق بن يحي، الجزائر، العدد 21، ديسمبر2014، ص 164.

[2] ـ المرجع نفسه، ص 164.

« اللّغة البربريّة في المغرب لها حضور أكثر قدما من اللّغة العربيّة لأنّها دخلت مع القرآن والإسلام إلى مناطق البربر الجبليّة، لا تزال منطقة القبائل الكبيرة لا تتكلّم إلاّ باللّغة البربريّة فقط»[1].

دخلت المرأة السّاحة الأدبيّة من أبوابها الواسعة، تحدّت الصّعاب، وحملت مشعل النّجاح بجدارة واستحقاق، وعبّرت عن تجربتها الخاصة، وعكست واقع حياتها بشكل تفصيلي، فلم تبخل أناملها، على عكس مشاعرها الجيّاشة، بالرّغم من أنّها كانت أقوى وأكبر من أن تكتب على مجرّد صفحة بيضاء، لذلك كانت بحرا متنوعا، أعطى ولا زال يعطي في سبيل خدمة الأمة و المجتمع، ولعل إطلاق إرادتها هو تشديد للواقع الذي تتوق إليه للتحرر عبر فنون الإبداع. حيث تقول "أحلام مستغانمي": « لا تبحث كثيرا... لا يوجد شيء تحت الكلمات، امرأة تكتب، هي امرأة فوق الشبهات، لأنها شفافة بطبعها، إن الكتابة تظهر ما يعلق بنا منذ لحظة الولادة».[2]

تواجه المرأة أخوها الرّجل وتبرز له مدى تعلّقها بالكتابة والإبداع فالكتابة تلجأ إلى تكريس مقوّمات الأنوثة وتسعى إلى اكتشاف العالم، فالمرأة إذن في جلّ كتاباتها تلمّح وتعبّر عن الواقع الذّي تعيشه بكلّ تفاصيله أو إحساسها الذّي تكتبه ثمّ تدرجه ضمن أعمال أدبيّة.

[1] ـ بولفعة خليفة، الهويّة والأثر في أدب آسيا جبار ـ تفكيك النّسق وكسر المحضور، ص 165.
[2] ـ أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، منشورات أحلام مستغانمي، ط1، بيروت، 2001، ص335

الفصل الثّاني: صورة المرأة في الرّواية والمواضيع المتعلّقة بها

1 . التّعريف بالكاتبة

2 ـ عالم الرّواية

3 ـ دوافع الكتابة النّسوية

4 ـ المرأة في الرّواية والمواضيع المتعلقة بها

1 . التّعريف بالكاتبة :

ديهية لويز اسمها الحقيقي "لويز أوزلاق"، من مواليد 1985م طالبة دكتوره في الاقتصاد بجامعة بجاية، ولجت إلى عالم الفن، وتسلّطت في الساحة الثقافيّة، صدرت لها الرّواية الأولى بعنوان " جسد يسكنني" عن دار تيرا للنّشر عام 2012م، ورواية أخرى سنة 2013م بعنوان " سأقذف نفسي أمامك" كما شاركت في مجموعة قصصيّة بالأمازيغية مع عدد من الكتاب الجزائريين المغاربة، شاركت وحضرت عدّة ملتقيات وطنيّة، كشفت عن مشاريع بصدد الانجاز، وأفكار لروايات بالأمازيغية، وأخرى بالعربيّة.

شاركت الرّوائية " ديهية لويز" مؤخرا بالعاصمة الإماراتيّة أبو ظبي أين قدّمت تجربتها ضمن فعاليات معرض أبو ظبي الدّولي للكتاب.

كانت لها عدّة مؤلفات قصصية، إذ أنّ تجربتها كانت مختلفة عن تجربتها في الرّوايّة، إذ أنّها لم تصوّر قدرتها على قصة قصيرة، بعدما شعرت أنّها لا تصلح إلا لكتابة الرّواية ، ففيها من الحريّة القدر الكثير، وتمكنها من التّعمّق في الشّخصيات أكثر، هذا بالضّبط ما يثيرها في الرّواية.

لكن ما عرض علينا "ناستري" المشاركة بقصة بالأمازيغيّة في كتاب مشترك مع مجموعة من الكتّاب، وجدتها فرصة ملازمة لاختبار قدراتها في القصة، والحقيقة أنّها استمتعت بها كثيرا، إذ اكتشفت طريقة جديدة لسرد الأحداث ومواقف معيّنة دون الدّخول في متاهات التّفاصيل الكثيرة.

في روايتها الأولى "جسد يسكنني" حاولت تسليط الضّوء على علاقة الأم بابنتها، كيف تعيش الأمومة في مختلف مراحلها، وكيف يمكن أن تسيطر على طموحاتها وأحلامها وتقتل فيها إحساس الأمومة، وتكسّر علاقتها بطفلها.

وبالنّسبة "سأقذف نفسي أمامك" هي رواية اجتماعية وطنيّة، تتمحور حول أحداث دامية شهدتها منطقة القبائل، ابتداءً من عام 2001م، عبر شاهدة عاشت تلك الفترة المؤلمة، حاولت أن تخلّد ذاكرتها على الورق، أو تتخلص منها لتبدأ من جديد، وهي رواية صادرة من منشورات الاختلاف بالجزائر، ومنشورات الضّفاف ببيروت عام 2013م

2 . عالم الرّواية: (سأقذف نفسي أمامك):

تحمل الرّواية عنوان "سأقذف نفسي أمامك" للروائيّ "ديهية لويز" كتبت باللّغة العربيّة، نشرت في الجزائر العاصمة عام 2013م، في طبعتها الأولى التي تتكوّن من 144 صفحة من الحجم المتوسط.

تناولت الرّواية مجموعة من الأحداث، وهي رواية اجتماعيّة وطنيّة تتمحور حول أحداث دامية شهدتها منطقة القبائل (أقبو) ابتداءً من عام 2001م، أين أصبح الشّعب يبحثون عن شعلة ضوء لكي يتعلقوا بها وسط الأنفاق المظلمة، أين يتمكنون من تفريغ أحشاءهم من الظّلم والقهر الذّي سايرهم طويلا، تلك الأوضاع التّي جعلت الأحلام تتحقق، والموت قريب إلى حدّ لا يعرف الحي فينا من الميت، والأهالي منزوع منها طعم الحياة والجمال.

عمدت الكاتبة على تشكيل أربع شخصيات رئيسية تبحث فيها عن معف الحياة في ظلّ تلك الأوضاع المزرية التّي حدثت لكلّ واحدة منهنّ، وقد مثّل الجو العائلي الذّي تدور حوله الأحداث الرّئيسية للرواية.

أ . عائلة سليم خالدي، وزهرة، وابنيهما نسيم ومريم

ـ الأب: الذّي حاول التّحرش بابنته وإحداث نزعات وفجوات عاطفية في وسط العائلة، حيث قام بتدميرها، بدءً من ابنته (مريم)، ثم يأتي وفاة ابنه (نسيم)، وبالتّالي تصاب الوالدة بانهيار عصبي والاحساس بالوحدة والضّياع.

ـ أم مريم: هي المرأة التّي لعبت دور الأم المهزومة، التّي تحوّلت من زوجة محترمة إلى امرأة غير مبالية ، تفضّل الخروج من المنزل واللّهو، في أماكن محترمة، حيث تصبح عرضة لحديث المجتمع (السبب في ذلك هي الصّدمة التّي تلقتها جراء وفاة ابنها والفعل المشين الذّي حاول زوجها القيام بها ضدّ ابنتها).

ـ مريم: هي فتاة في عزّ شبابها، تبلغ من العمر 19 عام، تسكن في منطقة أقبو، قرية أسلاط، طالبة في الثّانوية، تعيش مع والديها، إنّها المرأة التّي تقتحم الكتابة للشفاء من ذاكرتها اللعينة والأليمة ومن معاملة والجها لها، لعبت دور البطلة في الرّواية، تقع في حب عمر المناضل، الشّاب الذّي أصيب برصاصة في رأسه خلال أحداث المظاهرات، ليدخل

في غيبوبة لمدّة طويلة، فهي شخصية تحاول الخروج من قوقعتها الدّاخليّة ، لتبحث عن وجه أمل جديد يضيء حياتها، لكنّها تصطدم مرّة أخرى بواقع مرير.

ب . عائلة ايناس:

تتمحور الأحداث حول علاقة ايناس بوالديها، تتكوّن أم بسيطة وساذجة أمام أب متسلّط.

- **الأب:** رجل ل يملك ذرّة من الرّحمة والشّفقة، وهو يكره البنات كونه لم يرزق بولد ذكر.

- **إيناس:** صديقة مريم، تزاود دراستها في إحدى ثانويات أقبو، حاولت الهروب من المنزل بسبب عنف والدها، وعدم اهتمامه بها وبأخواتها الثّلاث، تتعرض في نهاية المطاف إلى الاغتصاب، ثم الموت.

ج . ثيللي:

صديقة لمريم هي الأخرى، تغيب عن أنظارها لفترة طويلة، تظهر في الرّواية عند خبر وفاة زوجها (زواج على ورق)، حامل بطفل منه، لتتبأ مريم سبب موت زوجها هو القتل الموجّه له من طرف الشّرطي بوجمعة، بالرّغم من أنّه لم يشارك في أيّ مظاهرة.

3 . دّوافع الكتابة النّسوية:

إنّ الحديث عن التّجربة الإبداعية النّسائيّة حديث يشوبه الارتباك، لأنّه مرتبط بحقيقة المجتمع قبل كلّ شيء، فالإبداع فن، ومن أهّم قوائم الفن بعد الموهبة الحريّة، وعنصر الحريّة، وعنصر الحريّة يبدو عنصر غير واضح الملامح في الأجواء العربيّة خاصة ما يتعلق بحرية المرأة، ولأنّ الكتابة قبل أن تكون تركيبا لغويّا، فهي تعبير وبوح، فإنّ المسألة تتعقد أكثر حين تأخذ الكتابة منحى البحث عن الخلاص من الوضع الاجتماعي الذّي تعاني منه المرأة: « الكتابة كيفما كان نوعها تحرّر من ذات تقيّدها أوضاع وأعراف... عندما يسكن المرأة هاجس الكتابة وتبحر في عالمها لتحقيق ذاتها بذاتها ووسائلها، فإنّما تكشف بذلك عن قدراتها وعطاءاتها في ميدان الكتابة على اختلاف أجناسها وتنوّع ضروبها.»[1]

إنّ المرأة الكاتبة في معركة دائمة ومستمرّة من أجل ثبات أهميّة ما تؤمن به من قضايا وأفكار، وسلاحها في ذلك شخصيتها وطبيعتها المؤنثة لأنّ استعارتها لأساليب الذّكر ضنّا منها أنّ الأمر سيكلّف لها النّجاح والانتشار والقوّة في التّعبير سيبعدها عن هدفها المنشود، بمعنى أنّ الكتابة النّسائيّة سوف تحقّق حريّتها، وكلّما كتبت بوصفها امرأة وكلّما أصرّت على أنوثتها ستزداد قوّة نفسها: « وإن قدر لهذه العمليّة الاستمرار وكاستجابة أنّ الفن يعكس

[1] ـ د: نوررة بعيو، الرّوايّة النّسائيّة في الجزائر، ص 73.

الحياة فإنّنا سنرى اليوم الذّي ندرك فيه المعنى الحقيقي لكون المرأة أنثى، ولكون الرّجل ذكرا والمعنى الحقيقي لكلمة إنسان»[1]

كان أدب المرأة رسالة مقاومة ودفاع ضدّ كلّ أشكال القهر المادي والمعنوي وساهم في تمزيق النّفاق الاجتماعي وفصح الازدواجيّة التّي تعرقل تقدّم المرأة المبدعة وتحدّ من عطاءها.

تحدّثت الرّوائية بنبرة تساؤليه استفهاميّة عن جدوى البقاء وأصل الوجود: « ما أصل البقاء في حياة ليست لنا أيّ سلطة عليها»[2]، في الآن ذاته ترفض رفضا قاطعا الوضع الذّي آلت إليه المرأة، وحطّم نفسيتها بالكامل.

تقول: «لماذا نتمسك بكلّ هذا الخراب، الذّي يستوطن بداخلنا أعواما طويلة، ويتراكم مع كلّ يوم يمضي؟ كيف أفسّر علاقتي بالوجود؟ هذا إن كنت موجودة أصلا »[3]

تبحث الرّوائيّة عن التّحرر النّفسي من تلك القيود التّي أجبرتها على الخضوع لسلطة الوجود وحكمه، الذّي لم تصنعه بنفسها بل فرض عليها من قبل الآخر، وفي أحيان أخرى تظهر في حيرة من أصل وجودها أو تنفيه تماما.

وجدت الحاجة للبحث عمن تلقي اللّوم عليه وتضعه موضع مسؤول عن أوضاع الخراب والدّمار: « أكيد لابد من إيجاد مسؤول عن هذه الفوضى التّي تعيش بداخلي وأعيش

[1] ـ نورة بعيو، الرّواية النّسائيّة في الجزائر ص 89.
[2] ـ ديهية لويز، سأقدف نفسي أمامك، منشورات الاختلاف، ط 1، منشورات ضفاف بيروت، الجزائر،2013، ص 05.
[3] ـ الرّواية، ص05.

وسطها، لا أدري أيّ منها الأصح ولا يهم كثيرا، لابد أن ألقي اللّوم على الوطن، على الآخرين، على اللّعنة التّي أصابتني من القدر، من يوم قرّر أن يتفنّن في رسم لوحته الكئيبة على حياتي»[1]

اتخذت البطلة من الكتابة تفجير للمكبوت، وبحث دائم عن الإبداع والابتكار، وفي الوقت نفسه فسحة للتعبير عن خلجات نفسها وكيانها لفهم العالم الموضوعي الذّي تنتمي إليه، وتحليل معطياته وتجلياته بمختلف ألوانه، كما أنّها تتحدى نفسها بحدّ ذاتها من الدّهاليز الخفيّة وعالمها الدّاخلي: « سأجرّب هذه المحاولة الأخيرة في التّحدي أو التّهرب من الواقع ومعطياته التّي تؤكد لي حتى هذه اللّحظة»[2]

فرضت الرّوائية ذّاتها الأنثوية، ورؤيتها للعالم والذات، واتخذت موقفا من كلّ ما يحيط بها، وجلّ ما تحسّ به، لتكشف النقاب عن الوقائع بوجوهها الحقيقية، وأسرارها الدّفينة، تقول في هذا الصّدد: « لكنّي سأكتب وعبر الكتابة سأجد بالتّأكيد ذلك السّر في معنى وجود الإنسان على وجه الأرض، تحدّ أكبر مني على ما يبدوا، لكني سأحاول»[3]

أعلنت الرّوائيّة تدمّرها من القبلة الأولى التّي صنعت منعرجا مرا في حياتها، وجعلتها مجرّد كتلة فزيائية تتأثر بالمتغيرات التّي تواجهها من دون أن تحرّك ساكنا أو تقلب قالبا، عاجزة

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 05.
[2] ـ الرّواية، ص06.
[3] ـ الرّواية، ص 06.

مستعجزة: « مازلت أحتفظ بمذاق شفتيه على فمي في تلك القبلة التّي رسمت لحياتي منعرجا لا نهائيا»[1]

لم تتوقف الرّوائية عند حدود القبلة التّي كانت السبب الرّئيسي في معاناتها واكتئابها، وإنّما كانت نقطة بداية للولوج إلى العالم الدّاخلي، والهدف الحقيقي لهذه الرّواية.

تقول: « ماذا يمكن أن أقول عن نفسي، غير كلّ هذا؟ سؤال مخيف بحدّ ذاته، لأنّه قد يحملني إلى الدّهاليز الخفيّة بداخلي والتّي لست متأكدة تماما من أنّي مستعدة لأن أواجهها أخيرا .. مع ذلك سأحاول فتح هذه الملفات الشائكة بأعماقي لأناقشها على الأقل هنا، على الورق، فقد لا تتسنى لي فرصة مرّة أخرى في هذه الحياة القصيرة»[2]

دفعها الإحساس الذّي تحس به للانفجار، فلم تجد سبيلا إلا الورق الذّي قد يحمل أسرارها بالرّغم من خيانة الذّاكرة لها بعدم النّسيان، لكونها تشعر بأنّها سبب المشاكل التّي وقعت بين أمّها وأبيها وتقول: « كنت دائما أشعر أنّي أعاني عالة على أبي وأمي وكان وجودي غير مرغوب فيه أو كأني سبب انشقاق بينهما لم يعرفا كيف يرممانه، ولكنّي في نفس الوقت سعيدة بشكل ما وكأني ضيف غير متوقع، خاصة فيما يتعلق بأمي»[3]

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص07.
[2] ـ الرّواية، ص 135- 136.
[3] ـ الرّواية، ص136.

ذلك العالم الذّي جعل منها موطن للخراب والدّمار، وغرس بداخلها العنف الذّكوري الممارس ضدّها، بشتى أنواعه من اغتصاب، وانتهاك لشرفها، وحرمتها وحرمانها للعاطفة، والحنان العائلي، لتنجم عن كلّ هدا آلام لا تكاد تفارقها، وإذلال لكرامتها.

نقف عند هذه العتبة لنستعرض بعض ألوان وأشكال العنف الذّي ركّزت عليه الرّوائيّة في الرّواية " سأقذف نفسي أمامك"

4 ـ المرأة في الرّواية والمواضيع المتعلقة بها:

4 ـ 1 ـ العنف:

تعريفه:

ورد في معجم ابن منظور« عنَفَ، العُنف، هو الخرْقُ بالأمر وقلّة الرّفق به، وهو ضدّ الرّفق وعَنُفَ به وعليه، تعْنُفُ عُنْفًا وعنافَةً، أو عنَّفَه تعْنيفًا، وهو عَنيفُ، إذ لم يكن رفيقًا، في أمره، واعْتَنَقَ الْأَمْرَ، أَخَذَهُ بعُنْف.

العُنْفُ بالضّم الشّدّة والمشقّة، وكلّ ما في الرّفق من الخير، ففي العُنْف من الشّر مثله»[1]

تعدّدت مفاهيم العنف بسبب تعدد الدلالات وتنوّع المضامين، واختلاف المنطلقات والتّخصصات المعرفيّة التّي تناولته، حيث يمكن أن ينظر إليه من زوايا مختلفة، فهناك عدد

[1] ـ أبو الفضل جمال الدّين ـ محمّد بن مكرّم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، المجلّد التّاسع،دط، بيروت،ص 257.

كبير من التّعريفات الخاصة بالعنف، والتّي تهدف إلى تعريف الظّاهرة بما يخدم مصلحة المجال

أ ـ في المجال النّفسي:

«هو تعبير عن انفجار القوّة لا تخضع لسيطرة العقل، حيث تظهر على شكل سلوك عدواني ناتج عن حالة إحباط يكون مشوبا بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، ويكون مشحونا بانفعالات الغضب، حيث يؤدي إلى إلحاق الضّرر بالكائن الحي»[1]

ب ـ في المجال السّياسي:

« يستخدم من أجل الاستيلاء على السلطة أو الحفاظ عليها لتحقيق أهداف مشروعة، ويرتبط بالصّراعات الاجتماعيّة بين الفئات ذات المصالح المتنافرة وغير المتكافئة»[2]

ج ـ العنف في الوسط الاجتماعي:

« يتمثّل في أعمال العنف الجسدي، والجنسي والنّفسي، التّي تقع داخل المجتمع بشكل عام كالاعتداءات الجنسيّة (الاغتصاب)، المضايقات الجنسيّة في أماكن العمل، إضافة إلى الإبحار بالنّساء والأطفال وإكراههن على البقاء»[3]

[1] ـ نعيمة رحماني، العنف الزوجي الممارس ضدّ المرأة، رسالة جامعية غير منشورة لنيل شهادة الدكتوره، جامعة أبي بكر، بلقايد تلمسان، 2010- 2011، ص 37.
[2] ـ المرجع نفسه،ص37.
[3] ـ المرجع نفسه ص 38.

د ـ العنف الأسري:

يمثّل أعمال العنف الجسدي الجنسي والنّفسي الذّي يقع في إطار الأسرة: « بما في ذلك الضّرب والاعتداءات الجنسيّة، ضدّ الأطفال، الإناث، الاغتصاب، وبتر الأعضاء التناسليّة (الختان) وغيره من الممارسات التّقليدية المؤذية للمرأة»[1]

4ـ 2: أشكال العنف:

العنف إشكالية معقدة تتجاوز البعد السّياسي والاجتماعي، لتصاحب كلّ عمل قولي أو فعلي، يصاحب في جوهره كلّ ممارسة تحويليّة، اجتماعيّة كانت فهو سلوك يستخدم القوة، أو يهدد باستخدامها لإلحاق الضّرر والأذى بالذّات، أو بالأشخاص الآخرين وتخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف.

من هذا المفهوم يتحدد العنف بأنّه الفعل الذّي يمس كيان الإنسان ملحقا الضّرر المادي والجسدي، والنّفسي والفكري، والعقدي.

العنف ضدّ المرأة من بين أهم القضايا التي تضمنتها رواية "سأقذف نفسي أمامك" للروائية "ديهية لويز" جعلته مادة لإثراء نصوصها السّرديّة، إذ لمست من خلالها أشكالا متعددة من العنف والاغتصاب والقهر الذّي يشوّه الواقع الجزائري وبالخصوص المرأة.

تمحور عملها حول أحداث حقيقية في وقائع مختلفة عبّرت عنها الرّوائيّة وفق عدّة مواقف.

[1] ـ المرجع السّابق، ص 38.

أ . العنف الأسري:

. الجسدي / النّفسي:

الأسرة هي الوحدة التّي تكوّن من خلالها الكيان الاجتماعي، الاقتصادي والسّياسي والدّيني، وهي مصدر الكثير من الاشباعات التّقليديّة لأفرادها، فهي التّي تقدّم الحب والاحترام والتّقدير، والأمن والحماية النّفسيّة والجسديّة لأفرادها: «إذ تعتبر مجالا من مجالات التّناقض، فرغم أنّها محيط للعواطف المتبادلة وميثاق للوئام، إلاّ أنّها كذلك في كثير من الأحيان مركز للعنف ، فهي المكان الوحيد الذّي يكشف فيه كلّ شخص عن وجهه الحقيقي دون تميز، والعنف في هذا المحيط يعتبر قويا أقوى من أيّ محيط آخر لكن العنف بين أفراد الأسرة الواحدة، لا يخضع للمناقشة فهو يعتبر من الأسرار المشينة»[1]

وصفت الكاتبة البيت وحياة أفرادها في علاقاتهم مع بعضهم البعض، فأوّل شيء يلفت الانتباه هي تلك العلاقة السّلبيّة التّي تجمع بين مريم وأمّها، تقول: « كانت علاقتي مع زهرة في توتر دائم، وكأنّنا في حالة دفاع مستمر أو استعداد للهجوم، كنت أكتفي بالصّمت الطّويل حين تصل الأمور إلى طريق مسدود، فلا جدوى من مناقشتها في عنادها»[2]

[1] ـ ابراهيم سليمان الرّقب، العنف الأسري وتأثيره على المرأة، ط 1، دار يافا العلميّة للنّشر، الأردن ـ عمان، 2010، ص 34.

[2] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 136.

وتقول أيضا: «كنت أشعر دائما أنّني عالة على أبي وأمي، وكأنّ وجودي غير مرغوب فيه»[1]

الأمر السّلبي في الأسرة هو إحساس المرأة بزمن العنف، وقوة تعاطيها معه، هذا ما أحست به مريم في الجو الأسري الذّي تنتمي إليه، وتبدأ معاناتها بالتّحديد انطلاقا من هنا.

تقول: «سمعت باب الغرفة ينغلق بعنف، خرج والدي بعد عشائه ولم يحدث شيء... ها هو إذن نسي ما فعله البارحة، ها هو نفس الرّجل الذّي عرفته منذ فتحت عيني على الدّنيا، رجل غير مبال سوى بعمله وكأسه»[2]

واجهت مريم أوقات عصيبة جراء ما مارسه والدها عليها من أفعال مشينة، وما اتخذه من قواعد قاسية ضدّها أثناء معاملته لها، وكيفية بنائه لتلك العلاقة، التّي لا ينتج منهاإلاّ القهر والقسوة.

« كانت البداية من هنا، من القبلة التّي شعرت بها على جسدي، من شهر جانفي 2001، تلك القبلة التّي أعلنت كلّ الحروب الممكنة على السكينة والطمأنينة»[3]

تقول أيضا: «بدأ البرد يجتاحني من ظهري فاستدرت لأرتّب الغطاء، لكن خيل إليّ أنّ جسدا يجلس على حافة السّرير في ظلام الغرفة، انتفظت من مكاني وأنا أصرخ، اتجهت إلى

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 136.
[2] ـ الرّواية، ص 17.
[3] ـ الرّواية، ص 06.

النّور فأشعلته، فإذا به هو... إنّه هو أراه أمام عيني، وهذه المرّة لم أكن أحلم»[1]

ليست الأحلام والكوابيس فقط التّي تطاردها، وإنّما تحوّل كلّ ذلك إلى حقيقة تراها بعينيها، إنّه لا يتركها ترتاح حتى أثناء فترة نومها.

مرّة أخرى يعمل الواقع القاهر على تجسيد حقيقة مرّة في حياتها لتظل محصورة في قوقعة لا مخرج لها، تدور حول دائرة متكرّرة من الاستيلاء، وكلّما عادت إلى حالتها الطبيعية، تشتعل ثورة العنف مرّة أخرى، لتحدث شرخا في نفسيتها وكيانها، وهذا ما أشارت إليه الرّوائية في قولها: « لولهة تحوّل إلى رجل غريب بالنّسبة لي، رجل تحرّكه الغريزة فلم يبق له من الإدراك ما يميزه من أكون...»[2]

استحوذت الأفكار السّلبيّة على عقل مريم مما دفع بها إلى طرح وابل من الأسئاة التّي لا تجد لها حلا ولا جوابا منطقيا: « ماذا أفعل؟ ماذا سيفعل؟، هل آخذ نسيم وأخرج؟ هل أبقى علّه يذهب وينسى الأمر؟ لابد أنّ ذلك ما سيحدث »[3]

تقدّم الكتابة صورة المرأة المسلوبة الإرادة، المغلوبة على أمرها بالرّغم من صعوبة الواقع، إلاّ أنّ هذه الأخيرة (الكتابة) قد تكون السبيل الوحيد للخروج من تلك الكآبة والخراب الدّاخلي

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 18.
[2] ـ الرّواية، ص 18.
[3] ـ الرّواية، ص 18

وتجسيد صورة واقعيّة لمعاناة المرأة، «لكنّي سأكتب وأتعرى رغما عني، وبإرادتي... فلم يعد هناك غير الكتابة كملجأ أخير لهذا الكم الهائل من الخراب الدّاخلي»[1]

في الأخير الكلمات ليست سوى وسيلة للتعبير عن كلّ شعور أو خناق، أو ضيق نعاني منه لنصل من خلالها إلى نقطة غامضة يتعذر علينا معرفة كيف وصلت بنا الجرأة لتجاوز كلّ ذلك الكم الكبير من الكلمات.

رسمت الرّواية لنا صورة تفرز اضطرابات حادة في النّظام العائلي خاصة ما يتعلق بالعلاقة الأبوية، فلم تقف الممارسات القهرية في حدود مريم ووالدها، إنما اتضحت خلافات أخرى بين الزّوج وزوجته (أمها وأبيها)، ويظهر مستوى العلاقة بينهما سلبي منحط، يتبيّن ذلك من خلال السّلوك الذّي يعامل والد مريم به والدتها.

تقول: « كنت أريد الخروج من المنزل قبل أن يستيقظ والدي لكن صراخه سبقني

. ألا تسمعين يا امرأة؟ أين القهوة ؟

. إنّها على الطاولة في المطبخ، انهض واشربها هناك.

. قبل أن تتمّ أمي كلماتها الأخيرة، انهال عليها بالضّرب وصوت الكدمات على جسدها يصلني إلى غرفتي.

. حرام عليك أيّها الحقار.

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 07.

. كلّما زاد صوت أمي ألما ازدادت متعته في ضربها.»[1]

لا شك أنّ مستوى الضّغط والإحباط يؤدي إلى الشّعور بالفشل والعجز في إشباع حاجاته وتحقيق أهدافه، ممّا يقوي احتمالية ممارسته للعنف ضدّ زوجته، حيث يستخدم العنف كوسيلة للتخلص من التّوتر الناتج عن هذا الضّغط.

«الرّجل الذّي تحاصره الضّغوط الشّديدة يسهل استشارته انفعاليا ومن ثمّ يصعب عليه التّحكم في انفعالاته مما يدفعه إلى ممارسة العنف»[2] إلى جانب موت أخيها تصطدم بردّة عنيفة من قبل والدتها التّي ظلّت تعاتبها لتكون ضحية ذلك الإعصار الذي لاقتها به أمها، تتوالى الأحداث لتصل إلى حدّ النّوبة العصبيّة من جراء الحقيقة التّي هزّت مسامعها عند معرفتها بما حدث مع مريم وزوجها « نهضت من مكانها، اتجهت نحو المطبخ، وبدأت بتكسير كلّ ما وقعت عليه يداها، وهي تصرخ، الحقير، حتى هدأت، دخلت الغرفة وأقفلت الباب، ولم تخرج ليومين»[3]

غياب الأمان الّذي ولّدته الصّراعات الدّاخليّة في المنزل بسبب المعاناة العنيفة بين أفراد الأسرة، لتأتي بعد ذلك الضّربة القاضية التّي تتمثل في موت نسيم، الذّي ترجم أثر العنف الجسدي والنّفسي، حيث توفي هذا الأخير جراء حادثة مريعة: « ...نظر إليّ نسيم ودفعه إلى الخلف بحركة عنيفة، تعثّرت قدماه، ورأيته يتهاوى على الأرض، ورأسه يصطدم بالطاولة

[1]- ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 10.
[2] - ابراهيم سليمان الرّقب، العنف الأسري وتأثيره على المرأة، ص 49.
[3]- الرّواية، ص 31.

الزّجاجية»[1] ونال حتفه من زاوية من زوايا إحدى مستشفيات أقبو« الحقيقة أنّنا فعلنا كلّ ما بوسعنا، لكن أنا آسف لقد نزف كثيرا ولم يستطع الصّمود»[2]

ترى الكاتبة أنّ الذّات الأنثوية لا تملك حريتها بل خاضعة للرجل، يضعها ضمن ممتلكاته سلعة يستهلكها، أو لعبة يتقاذفها بالأرجل، يفرض عليها سلطته وهيمنته، تضمحل ذاتها ولا تظهر إلا من خلال هذا الأخير(الرّجل)، حينها تنفتح علاقتها مع الواقع على المأساة والعذاب، تؤدي دور الضّحيّة التّي لا تجد لنفسها حلا في أسرة قاهرة لا ملاذ سوى الهروب، أو التّعايش مع قهرها أو حرمانها والانطواء والعزلة النّفسية المستمرّة، كما حدث لزهرة (أم مريم)

إنّها صورة الزّوجة في رواية "سأقذف نفسي أمامك" أم مريم امرأة سمحت للظروف أن تزعزع ثباتها وتصعقها لتصل حدّ الاستسلام أمام المأساة التّي واجهتها، لينتهي بها المطاف إلى الكآبة المدّمرة، حوّلتها من المرأة الطّيبة المتخلقة إلى مستوى الشّيء الدنيء، جلّ ذلك دفعها لتنتقم من نفسها بطريقة أو أخرى، تقول الرّوائية: « كانت تحاول الانتقام من قدرها، لم تعرف أنّها تنتقم من نفسها فقط»[3]

لم يكن هذا المنعرج سوى بداية لحياة جديدة رسمتها طقوس العنف التّي تركت بدورها آثار بالغة في نفسية المرأة (الأم)

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص22.
[2] ـ الرّواية، ص 28.
[3] ـ الرّواية، ص31.

اعتبر العنف بكلّ أشكاله سببا مباشرا ليوجه هذه الأخيرة إلى جملة من الانحرافات المختلفة وما ينجرّ عنها من إنكار للمسؤولية، وإدمان للسجائر، والسّهرات اللّيلية، هذا الواقع صوّرته "ديهية لويز" في أحد المقاطع من الرّواية «تدخل أمي مع دخول أولى خيوط ضوء الصّباح، ووجهها قد تخلى عن ألوانه الكثيرة، فستانها القصير ممزق إلى ما فوق الرّكبة، تتمايل في مشيتها وكأنّها لم تكن في كامل وعيها.. كنت أنتظر أن تتحدّث أو تفسّر غيابها عن البيت طول الليل»[1]

تتكرّر صورة اللامبالاة التّي تصدر من الأم مرارا جراء معاملات زوجها (سليم خالدي)، وجراء وفاة ابنها (نسيم)، في أفعال مشينة لم تعد تأبه لما هو موجود من حولها، تسعى دائما للخروج من محنتها وعزلتها لتطلق العنان إلى عالم يتجاوز أطر الأخلاق والعادات والتّقاليد، عالم المجون والزّندقة، عالم الشّهوات والنّشوة.

« تدخل المنزل مترنحة، وسيجارة I&M بين أصابعها، تنظر إليّ بشيء من الازدراد، تدخل الحمام تفرغ ما في أحشاءها ممّا تجرعته في سهرتها، تدخل الغرفة وتستلقي على السرير بملابسها الملطّخة بالسائل المنوي»[2]

إنّ صورة الأب المسيء الذّي دمّر حياة زوجته وحوّلها إلى جحيم، إلى ظلام لا نور فيه، إلى كابوس مرعب، وقضى على آمال ابنته وطموحاتها التّي هي في الأصل ليست ابنته، بل هي ابنة رجل آخر، كانت نهاية هذا الرّجل السّكران الموت، أين تحوّلت جثته إلى طعام

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 43.
[2] ـ الرّواية، 81.

للذئاب، ذلك الرّجل الذي غيّر قوانين الأبوّة، والذي كان السبب الأوّل لبداية الدمار العائلي : «مات ميتة مخزية، ربما لأنّه نال عذابه بما يكفي، قبل أن تنفلت روحه وسط غابة وحيدا، وجسده كان طعاما للذئاب»[1]

عندما يصبح الضرب والانتهاك والقهر الوسيلة السّائدة في المحيط الأسري، وتصبح هذه الأساليب عادة سيئة يدمن عليها أفرد الأسرة الواحدة، ذلك بوعي أو لا وعي يصنعون أداة فتاكة، ومدّمرة للعلاقات الأسرية التّي يكون مآلها الفناء، هذا بالضبط ما ترجمه واقع الرّواية من خلال الأحداث المتتالية التّي ذكرت في مقاطعها، موت نسيم، موت سليم خالدي، انحراف الأم، كذلك الدّمار والخراب الدّاخلي الذّي تعرّضت إليه مريم.

ب . العنف السّياسي/ الاجتماعي:

السّلطة السّياسية تكون إما ديمقراطيّة، تقوم على أساس مبدأ التّداول، أو تكون استبداديّة، قمعية من طرف فرد أو جماعة معينة، أو حزب ما، حيث يستعمل شتى الوسائل القمعية عن طريق العنف الذّي يتخذ أشكالا مختلفة يهدد استقرار بقاء القوة المسؤولية على السّلطة « سلطة الدّولة هي حسب الكثير من الرّوائيين والشخصيات الرّوائية على حدّ سواء جزء لا يتجزأ من بنيان سلطي متكامل ومتداخل يساعد في صياغة السّلطة السّياسية الّتي تقوم بدورها في إعادة صياغة ذلك البنيان وقولبته»[2]

[1] ـ الرّواية،ص 135.
[2] ـ د: الشّريف حبيلة، الرّواية والعنف ـ دراسة سوسيونصيّة في الرّواية الجزائريّ المعاصرة، ط1، دار النّشر الأردن، 2010، ص 165.

السّلطة في حدّ ذاتها تخرج عن مفهوم الإخضاع والسّيطرة، وتحقيق أهدافها ومصالحها الخاصة، ورفض مصلحة الآخرين، حيث تنطلق من مبدأ واحد وهو القوّة، من أجل إحداث الخوف، وترهيب الآخرين وهزيمتهم بغاية ضمان استمراريّة بقاء السّلطة وتأكيدها.

« سواء استخدام السّلطة أو النّفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاّتيّة بطريقة غير شرعيّة ودون وجه حق»[1]

« وحين يتحوّل الوطن إلى سجن تهان فيه إنسانيّة الإنسان على يدّ مواطنه، تفقد الحياة معناها... الوطن الذّي أصبح سجنا لا عنوانا معروفا لزنزانته، لا اسما رسميّا لسجنه، ولا تهفة واضحةً لمساجينه، والذيّ أصبحت رقاد فجرا محجوب العينين، محاطا بمجهولين يقوداني إلى وجهة مجهولة أيضا شرف ليس في متناول حتى كبار المجرمين عندنا. هل توقعت يوم كنت شابا بحماسته وعنفوانه، وتطرّف أحلامه إنّه سيأتي بعد ربع قرن، يوم عجيب كهذا يجرّد فيه جزائريّ مثلي من ثيابي...وحتى من ساعتي وأشيائي، يزجّ في زنزانة فرديّة هذه المرّة، زنزانة أدخلها باسم الثّورة هذه المرّة»[2]

يصل عنف السّلطة إلى حتى درجة القتل، تمارسها أجهزتها المختلفة: « لأنّ البقاء في كرسيّ الحكم يتتبع الموت، والعنف والدّمار، حدث كلّ ذلك في هذا الوطن»[3]

[1] ـ د: شريف حبيلة،الرّواية والعنف ـ دراسة سوسيونصيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، ص66.
[2] ـالمرجع نفسه ، ص 188.
[3] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك،67.

هذا ما عكسته كتابة المرأة بصورة فنيّة واقعها الاجتماعي والسّياسي، حيث دخلت عالم الكتابة لاسترجاع مكانتها، واستيراد ما سلب منها من حقوق أنثويّة، دخلت هذا العالم لتشكيل خطاب أنثوي، لأنّ وعي الأنثى بالكتابة وعي مقيّد بقوانين وأنظمة ذكوريّة مستبدّة، وعي لا يزال يحمل في طياته تلك النّظرة أنّ الكتابة حصن ذكوري يحرّم اقتحامه، هذا ما جعلها متأزّمة نفسيّا تعاني الاضطهاد والتّهميش، إنّه تقيّد ذكوري داخل الأنوثة فرضه المجتمع وأسّست له الثّقافة، وبلا شك إنّها مجموعة من المكبوتات الّتي تسكن الشّعور الأنثوي.

ارتبطت رواية "سأقذف نفسي أمامك" بالسّياسة، وكان لها فضلا كبيرا في التّعبير السّياسي والاجتماعي للواقع ونقده، حيث تتمحور هذه الرّوايّة حول أحداث دامية شهدتها منطقة القبائل ابتداءً من عام 2001، عبر شاهدة عاشت تلك الأحداث التّي حدثت في تلك الفترة المؤلمة وحاولت أن تخلّد ذاكرتها على الورق وتتخلّص منها لتبدأ من جديد.

حاولت تشخيص تلك الأحداث التّ وقعت في سنة 2001 وصياغتها على شكل رمز للعنف، ولذلك صاغت نصّها متطلّعة إلى سلطة عادلة: « لم تكن لتبهرها شجاعتي ولا حماسي للمساهمة في تغيير الأوضاع، ولم تكن لتثيرها الحالة المأساوية للبلد حينها»[1]

أخذت لغة الرّواية للكشف عن الواقع السّائد، وتطرح في نصّها الرّوائي مسألة العنف السّياسي والاجتماعي الذّي شهدته منطقة أقبو سنة 2001، الذّي لقّب بالرّبيع الأسود دون أن تحدّد أسبابه ودوافعه، في كلّ الأحوال تشير ضمنيا أو علنا إلى ظاهرة العنف.

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص51.

« كان ربيع 2001 فصل الحبّ والورد والجمال، الفصل الذي تنتعش فيه القلوب بعد شتاء الجفاء.. لكن هذه المرّ بالتّحديد كان مختلفا لم يحمل في ثناياه سوى الألم، الدّم الذّي سال كثيرا دون أن نفهم تحديدا السبب في ذلك ولا من كان وراءه...»[1]

تنتقد نظاما سياسي يقوم عليه الوطن: « هذا الوطن عوّدنا أن لا يقدّم توضيحات عن الجنون الذّي يصيبه كلّ مرّة، منذ أن طردنا المستعمّر مازال يتخبّط في أنفاق الغموض وعلامات الاستفهام التّي تنشر في أرجاءه »[2]

وظّفت "ديهية لويز" شخصيات محدّدة ترمز إلى الفساد والقهر وتقوم بدور العوامل القائمة مقام السّلطة، تؤدي وظيفتها بعيدا عن الشّرعيّة : « منذ أن قتلوا شابا في ربيع عمره دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء تقديم سبب واحد، يمنحهم الحق في تحديد حياة شاب تسع عشرة عاما، منذ أن أصبح التّعالي على البسّطاء اللّعبة الوحيدة لدى هذه الجرذان التّي تحتمي بزيّها الأخضر، لتفرض قوانينها كما تشاء وعلى من تشاء، دون أن يتمكن أحد على التّفوه بشيء»[3]

تؤرّخ الرّواية بألم الفساد والموت الذي هو وليد الحاضر، فساد تلخّصه الكلمات، المؤامرات، الأطماع، الدناءة، هنا تكمن الإشارة إلى التّحوّل في القيم التّي يحملها الجيل منذ مطاردة المستعمر.

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، 47.
[2] ـ الرّوايّة، ص49.
[3] ـ الرّواية، ص 52.

تحوّل هذا الجيل من عامل نبيل يناضل من أجل قضايا نبيلة ضدّ الظّلم، إلى فاعل ينتج الفساد والظّلم.

تقول:« منذ أن وصل إلى أبوابنا يكسّرها قبل أن يطرقها، منذ أن تحوّلت الحياة إلى جحيم لا يطاق...»[1]

وأظهر أيضا قوّته التّدميريّة في تراكمه عبر سنوات تدمير الذّات وتدمير الآخر ولو بالقتل

« منذ أن مات جارنا كمال الأسبوع الماضي وذهبت إلى جنازته، قتلوه برصاصتين في الظهر مثل الجبناء»[2]

تحدّثت الرّوائيّة بقلب مجروح وألم شديد عن صورة الموت والدّمار والخراب « أكثر من مائة وعشرين قتيلا والعشرات من المعطوبين، دون أن نسمع يوما بمحاكمة المسئولين عن تلك المجازر، وكثير من الخراب الذّي خلّفه في النّفوس وأشياء أخرى»[3]

تزيل الروائية القناع الذّي كان يخفي وجه مسئولي السّلطة لتبيّن نواياهم الشّنيعة، كشفت ذلك عبر عثمان عصماني: « فلم أستطع سماع التّفاهات التّي يقولها ليدفع الشّباب للموت وهو يتوارى خلفهم كلّما شعر بالخطر»[4]

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، 49.
[2] ـ الرّواية، 49.
[3] ـ الرّواية،ص 64.
[4] ـ الرّواية، ص 66.

حيث كان المسؤول عن كلّ الخراب والدّمار يخفي وجهه الحقيقي خلف كلمات خطابية «قال اليوم في خطابه: نحن قدّمنا رجالا ماتوا من أجل الحرّية والديمقراطية واللّغة، أمّا أنتم فلم تقدّموا شيئا»[1] كان وراء استمالة الشّعب ليدفعه إلى مصير الموت.

استعملت "ديهية لويز" هذه اللّغة لتمثيل الإيديولوجيات وكشف الأنظمة السياسية الفاسدة التّي توهم الشّعب بالصدق: « ليس شيئا جديدا يا مريم، ذلك لا يجب أن يفزعك كثيرا إنّها عادة راسخة في تاريخ هذا الوطن، الخيانة داء قديم تفرّعت جذوره في أعماقه»[2]

عرضت رواية "سأقذف نفسي أمامك" تعدد المكائد في المظاهرة الأولى من تاريخ الجزائر المستقلّة، والذّي شهد عليها شهر جوان 2001، وصوّرته بلغة فنيّة فائقة: « اختلطت الأوراق وتعدّدت المكائد التّي نصبت.. والنّتيجة إجهاض محاولة ما تبقى من هذا الوطن، إجهاض ونزيف حاد من الدّم والخراب»[3]

عكست أحداث الرّواية في هذا المقطع إجهاض المظاهرة بسبب التيارات الحزبيّة التّي لا يهمها إلاّ استغلال الأحداث لصالحها، لذلك يكشف النّص عن كيان السّلطة.

« الوطن اللّعين الذي يغوص في الحضيض كلّ يوم أكثر»[4]

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 66.
[2] ـ الرّواية، ص 66.
[3] ـ الرّواية، ص 67.
[4] ـ الرّواية، ص 115.

كذلك الأعمال التّي يمارسها التّابعين لتلك السّلطة: « حتى ظلّت حشود الشّباب الهارب من الغازات المسيلة للدموع ومطاردة رجال الأمن لهم، صوت الرّصاص كان قريبا جدا...»[1]

تتكرّر مظاهر القتل في عدّة مقاطع من الرّواية.

. موت الشّاب الذّي عمره تسع عشرة عاما.

. موت قرماح الذّي رفض القهر والذّل والانصياع للشهوات الدنيئة.

. موت كمال الذي قتل بالرصاص: « قتل برصاصتين في الظّهر»[2]

. موت زوج ثيللي (شريف) بالرّصاص: « أصيب برصاصة أوّل أمس، ومات هذا الصّباح في المستشفى»[3]

وفي الأخير موت عمر وهو زوج البطلة (مريم)، الذي أصيب هو الآخر برصاصة بالجانب الأيمن من رأسه، حيث وجدوه بجانب صندوق النّفايات: « الدّم الذّي كان يسيل من رأسه غطى وجهه بالكامل»[4]

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 114.
[2] ـ الرّواية، ص 49.
[3] ـ الرّوايّة، ص 95.
[4] ـ الرّواية، ص 114.

مثّلت الرّوائيّة أحداث الموت والقتل الشّنيع، وعبّرت عن كلّ ذلك بواسطة الكتابة، باغظة السّلطة وكلّ مسئوليها والسّياسة وكلّ أشكالها، من أحزاب وتيارات وكلّ أداة وتسعى لتحقيق غايات هذه الأخيرة (السّياسة).

ج ـ المرأة والاغتصاب:

الاعتداء على الأنثى سواءً كان الأمر برضاها أو غير رضاها، يعتبر جريمة يتخذها الرّجل ضدّ المرأة، وهو صورة للقهر وشكل من أشكال العنف الممارس عليها.

«الاغتصاب حالة من حالات التّحرش والتّلاصق بأعضاء الجنس، سواءً اقترن ذلك بإيلاج القضيب في المهبل أم لا، وذلك دون موافقة الأنثى ورضاها، وهو من أكثر أنواع العنف وحشيةً، وأشدّها تدميرا للروح والبدن، وله آثار حادة على الضّحية وأسرتها تمتد إلى نهاية العمر، ويعتبر جريمة جنسيّة، معناه اللّغوي الفسق بالإكراه، ويعني ممارسة الجنس أو الجماع دون موافقة الآخر»[1]

وفي هذا الصدد ترى فضيلة الفاروق: «أنّه فعل عدواني ذكوري، يختزل المرأة إلى مجرّد عضو جنسي، يعبّر عنه الرّجل عن فحولته.. وهذا يثبت أنّ الرّجل لا يستطيع في واقع

[1] ـ قنيفة نورة، الشّباب والعنف أو معادلة الذّكورة والعنف الأنثوي، مداخلات الملتقى الوطني حول الشّباب والعنف في المجتمع الجزائري، منشورات جامعة جيجل، 2012.

اجتماعي قاهر إدراك أنّ المرأة كيان مستقل عنه نظر إليها من خلال ذاته وغريزته، واختزلها إلى جنس مصدر اللّذة»[1]

هذا ما يبرز جليّا في رواية "سأقذف نفسي أمامك" للروائيّة "ديهية لويز" التّي رسمت من خلالها نظرة الرّجل للمرأة، والتّي تنحصر دائما في حدود لا تتجاوز نطاق شهوته ورغبته الجنسيّة لإشباع غرائزه الحيوانيّة، وهذا بالتّحديد ينطبق مع أحد مقاطع الرّواية: « لوهلة تحوّل إلى رجل غريب بالنّسبة لي، رجل تحرّكه الغريزة، فلم يبق له من الإدراك ما يميّز به من أكون»[2]

من هنا كان الاغتصاب والتّعدي ضرورة ملّحة لاكتمال صورة ذلك الرّجل المنحط الذي لا يملك ذرّة من الحياء.

تعلّقت الرّواية بزمن أسود مظلم، أين تعرّضت فيه النّساء للاغتصاب، والاختطاف في الرّبيع الأسود لسنة 2001، من قبل الجماعات الإرهابية بهدف التّعدي عليهنّ، وكذلك من وقع ضحية وفريسة بين أيادي الدّرك الوطني، والأكثر إيلاما محاولة اغتصاب الأب لابنته (البطلة ـ مريم ـ ووالدها).

[1] ـ فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ط2، رياض الرّيس والنّشر، بيروت ـ لبنان، 2006، ص 37.
[2] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 18.

« لم أشعر أبدا بتلك الرّعشة التّي سرت في جسدي، فهل كان ذنبي أن أعرف معنى كلّ ذلك مع رجل كان والدي»[1]

يتضح أنّ الوالد جعل من ابنته مريم وسيلة لإشباع غريزته الحيوانيّة، وتحقيق لذّته النّفسيّة، والجسديّة، لأنّ الاغتصاب بالنّسبة للرجل هي الوسيلة الناجعة لإذلال المرأة، وخنقها وجعلها تحس بخنق شديد، وهذا تعبير عن انتقام منها لكونها أنثى أو بالأحرى امرأة، وإخضاعها للواقع الكئيب والمرير « كانت أوّل مرّة أمقت فيها منزلنا أوّل مرّة شعرت أنّ موقعه في وسط غابة»[2]

فرضت سلطة الرّجل على المرأة، وهي سلطة أفقدت مريم الثّقة بكلّ ما يحيط بها، وأشعرتها بالضّياع المطلق، كما أفقدتها الأمان بالإحساس أنّها أنثى، أنّها امرأة تنتمي إلى دائرة معيّة من هذا الوجود.

تتوالى أحداث اعتداء الأب على ابنته، تقول : « شعرت بعينيّ نسيم تملؤها الدّموع، وهو يسحب أبي من قميصه الكحلي، وقعت عيناه على صدري العاري، فأشاح بنظره بسرعة، وألقى بوجهه البريء إلى الأرض، لم أتحرّك من مكاني، وجسد والدي مازال يحاصرني، اكتفيت بتتبع حركات نسيم وتجرّع الألم بصمت»[3]

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 09.
[2] ـ الرّواية، ص 23.
[3] ـ الرّواية، ص 22 - 23.

حاولت الرّوائية تجسيد معاناة المرأة عن طريق الكتابة، حيث عبّرت وكشفت عن واقع المجتمع المشين، عن المعاناة التّي تتعرض لها العديد من النّساء داخل الأوساط الأسريّة أو خارجها، حملت بأفكار ومشاعر كلّ امرأة لتذوق ذلك الألم الذّي تحمله كلّ أنثى في أعماقها، وما تحس به من خلجات نفسيّة، من فقدان للكرامة وانتهاك للحرمة، وما يترتب عليه من فقدان للثّقة بالأهل، بالنفس، بالمجتمع، وحتى بالوطن.

لتقول بهذا الشأن: « كيف لي أن أعود إلى تلك اللحظة الآن لأوفيها حقّها من الكلمات اللازمة للتّعبير عن نفسها، ويتضح لكم نفس المشهد الذّي كنت ألعب فيه دور البطولة؟ قرار صعب هذا الذي اتخذته في التّعري أمام الورق على ما يبدو، حتى أنّني بدأت أتراجع فيه...لكنّي سأكمل وأكتب وأتعرى رغما عني، أو بإرادتي فلم يعد غير الكتابة كملجأ أخير لهذا الكم الهائل من الخراب الدّاخلي»[1]

هكذا بدأت معاناة مريم (البطلة)، التّي عانت من جراء أفعال والدها الذي سعى للتحرش بها جنسيا على شكل اغتصاب، وحاول انتهاك حقوقها الجسدية، والنّفسيّة على حدّ سواء.

بعدما حدث مع مريم تدافعت موجات الاغتيال، وسنواته المتلاحقة لتضييق الخناق على البطلة التّي ما إن توهمت أنّها خرجت من سجن العائلة التّي كانت بالنّسبة إليها كموجة بحريّة هائجة، تملؤها الضغينة، وفكرة الانتقام والضّياع، وسط عائلة ليست سوى ظلام كئيب يلاحقها، إذ كانت تحلم بالنّسيان والحياة الهادئة والنّوم المستقر، أين لا تصاحبها الكوابيس،

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 07.

أين لا تسمع فيه باب الغرفة يطرق « لم أستطع النّوم ليلتها من ترقب باب غرفتي، ومن الأفكار التّي كانت تخوض معركة بداخلي لا نهاية لها»[1]

استطاعت "ديهية لويز" أن تعطينا نموذجا حقيقيا للحياة الواقعيّة من خلال روايتها، لفعل محاولة اغتصاب الأب ابنته، واتخاذ هذا الحدث ممرا وجسرا تعبر منه لتصوّر أحداث ثانية مع شخصيات أخرى، والتّي حدثت معها مواقف أسوأ ممّا حدث لمريم.

- إيناس:

بدأت معاناة هذه الأخيرة من اليوم الذي أبت فيه أن تستسلم لطموحاتها، ورغباتها في ترك منزلها، والرّحيل بعيدا، بحيث كانت تظن أنّ بعد رحيلها من البيت ستعيش حياة أخرى، مختلفة عن تلك الحياة التّي عاشتها في كنف أسرتها، إلا أنّها تصطدم بواقع مختلف تماما، بحيث ذهب بها القدر إلى مرحلة سترى فيها وجها أسوأ للحياة، فقد لاحقتها لعنة الأنوثة حتى بعد هروبها من المنزل إلى الشارع، أين أحسّت فعلا بمرارة وقسوة الحياة إلى درجة تمنت فيها لو أنّها لم تأت إلى هذا الوجود، إلى هذا العالم اللّئيم.

رسم هذا المشهد صورة لكيفية تعرض هذه الأنثى، التّي سعت بحثا عن مكان تطمئن فيه، لتجد نفسها فريسة وضحيّة تقع بين أنياب دركي لم يرحمها ولم يرحم ضعفها بالمرّة

« ليته ضربني أو حتى قتلني، كان سيجنبني الذّل الذي جرعته في مكتب ذلك الدّركي»[1]

[1] ـ الرّواية، ص 10.

إنّها أزمة واقع اغتصاب الأمل، اغتصاب الأمان والشرف.

تقول:« اقترب مني، وضع يده على شعري بلطف قبل أن يجذبني منه إلى صدره، ويلصق فمه على شفتيّ»[2]

يبدو أنّ الواقع المرير والوجيع، جعل فعل الاغتصاب (اغتصاب الدّركي لإيناس) لدى الرّوائيّة بين مرارة الفعل، وإنكار العائلة لهذا الكيان الأنثوي الذّي كان السبب في دمار هذه الأخيرة.

تأخذنا الرّوائية إلى مشهد أفضع في حياة "إيناس" من المشهد الذّي صوّرته من قبل:

« انتشل حزام سرواله، وربط يديّ إلى الوراء، كنت أغمض عينيّ كي لا أرى ما كان أمامي، لكنّه لم يترك لي الكثير من الوقت، ولم يرحم دموعي الصامتة، كان يتلذذ بذلك الضّعف الذّي يراه في عيني، جذبني من شعري، وأدخل عضوه في فمي، شعرت بالغثيان، وكأنّ أحشائي ستفرغ ما فيها، حاولت التّخلص منه لكن يده على شعري تجذبه بقوّة»[3]

استمرّ هذا الدّركي اللّعين في ممارسة قسوته وعنفه في سبيل إشباع غريزته، ورغبته الجنسيّة على جسد إيناس: « كنت أتمزق من الألم والإهانة، جسدي لا يسعفني ليقاوم أو يتحمّل

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 77.
[2] ـ الرّواية، ص 77.
[3] ـ الرّواية، ص 77 ـ 78.

عضوه الذّي تغلغل بداخلي بعنف، أو حتى جسده الضّخم المرتمي عليّ، كان الدّم الذّ ينزف منّي يملأ الأرض يخيفني أكثر»[1]

هربت إيناس من العنف والضّياع الأسري آملة أن تحصل على السّعادة عند نقطة ما في هذه الحياة، إلاّ أنّها وجدت نفسها ضحيّة مهزومة، أمام رجل أراد أن يجعل منها فريسة له.

لطالما اعتبر الموت أبشع مرحلة يصل إليها الإنسان، إلاّ أنّ في الأخير يتبيّن أنّه لا يوجد في الحياة أقسى من هذا العمل المشين (الاغتصاب)، وبالموت تنتهي حياة الضّحيّة، كما حدث مع إيناس التّي عثر عليها جثّة هامدة فارقتها الحياة وفارقتها معها المعانات الدّنيوية:

« اختفت عن الأنظار أكثر من ثلاثة أيام، قبل أن يجدوها في وادي الصّومام جثّة هامدة»[2]

تنتهي مأساة وآلام إيناس بالموت، بعد قدرتها على الانتقام لنفسها من ذلك الذّي حوّل حياتها إلى جحيم، الذّي سلب منها شرفها وكرامتها، مما جعلها تتجرّع آلاما نفسيّة، واضطرابات انفعاليّة لازمتها من تلك الحادثة، ولم تمح لها بالعيش حياة عادية، فقد ظلّت في قيد الحياة فقط لدافع الانتقام: « فلم أستطع أن أعرف أنّها تعيش فقط لتنتقم، ويوم وصلت مرادها، لم يعد هناك شيء يعنيها من الحياة، تلاشت تلك الشّعلة التّي أبقتها صامتة فترة من الزّمن ورحلت معها إلى الأبد»[3]

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 78.
[2] ـ الرّواية، ص 79.
[3] ـ الرّواية، ص 79.

تنتقل الرّوائية من واقع إيناس، لتجسّد لنا واقع آخر بمرارة الأوّل، وهو اغتصاب أم البطلة كشخصية ثالثة مغتصبة.

- أم مريم (زهراء):

يعتبر الشّرف المثال الأعلى للمرأة في المجتمع وبدونه تصبح هذه الأخيرة سلعة منتهية الصّلاحية،فهو من يجعل منها امرأة صالحة ومحبوبة، ومحترمة من طرف الكل، لكن للأسف الشّديد ذلك المجتمع الذّي يطالب بشرف المرأة وعفّتها هو العامل الرّئيسي لانتهاك هذا الشّرف وتحطيم هذه الأنثى.

« كيف هي الكتابة عن أنثى سرقت عذريتها عنوة»[1] ، والمقصود من كلّ هذا عامل الإرهاب.

« نعم قلت إنّ خمسة آلاف امرأة اغتصبت منذ سنة 1994، وقلت إنّ ألف وسبع مائة امرأة اغتصبت خارج دائرة الإرهاب (...)»[2]

تصبح تلك الفتيات أو النّساء مجرّد وسيلة للتّخلص من أرق وتعب النّهار،«هل تعرفين ماذا يفعلون بنا؟ إنّهم يأتون كلّ مساء ويرغموننا على فعل "العيب". نحن نصرخ ونبكي ونتألّم وهم يمارسون معنا "العيب"، نستجد نتوسلهم نقبّل أرجلهم أن لا يفعلوا، ولكنّهم لايبالون (...)

[1] ـ فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص54.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 59.

أنظري.. ربطوني بسلك وفعلوا بي ما فعلو...»[1] ، يتبيّن من خلال هذا المقطع حجم المعاناة التّي أصيبت بها كلّ امرأة وفتاة، سببها أشخاص لا يعرفون لا دينًا ولا أخلاقًا.

ظهرت أم مريم في الرّواية لتلي حدث الاغتصاب الذّي وقع مع الأخريات (إيناس، مريم)، تظهر كشخصية الأم المهزومة، امرأة ميتة الرّوح، ميتة المسؤوليّة، ذلك بسبب فعل الخيانة التّي قام بها زوجها، إنّها امرأة منهارة،منعزلة، تفضّل الصمت مقابل الكلام، الانحباس مقابل الحركة، لتجد نفسها متموقعة في الهامش، بعد أن فقدت ذاتها وهويّتها بسبب الرّجل ثمّ تحوّلت إلى سلعة يستهلكها، ولكونها فقدت الثّقة بكلّ من حولها تصبح معدومة الأنوثة في مجتمع قمعي بتقاليده قمعا قاهرا.

بدأت وقائع الاغتصاب « عندما وقعت ضحية الاختطاف من طرف رجل إرهابي كان يلقّب بالأمير خالد، كان يقود جماعة إرهابيّة تنّشط بجبال أكفدو»[2]

تجسّ القهر الممارس ضدّها بأبشع الطّرق من طرف ذلك الإرهابي المتعطّش إلى جسد المرأة، يسعى دوما وراءها بهدف إشباع عطشه الجنسي غير مبال بأنّ التّي يضطهدها تملك كيانا إنسانيّا، بل يتمادى ويتلذذ في تعذيبها وممارسة العنف ضدّها.

تقول: « كان يقطّع جسدها بسكين قديم، ويصبّ عليها البيرة، ثم ليلحسها بلسانه مع دمها، وآثار الحرق بالسّجائر كانت واضحة على مناطق كثيرة من جسدها... في كلّ ليلة يأتي

[1] ـ فضيلة الفاروق، اكتشاف الشّهوة،ط 1، رياض الرّف والنّشر، بيروت ـ لبنان،2006. ص 45.
[2] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 89.

إليها يجبرها بالقوة أن تقاسمه ما يشرب قبل أن يغتصبها بوحشيّة عدّة مرات ثمّ يتركها وحدها مع البرد في ذلك الكوخ المهجور وسط الغابة...»[1]

ينتج من خلال هذا أنّ الرّجل لم يستطع في واقع اجتماعي قاهر أنّ المرأة كيان مستقل عنه، نظر إليها من خلال ذاته وغريزته، واختزلها إلى جسد مصدر اللّذة، بنى موقفه الاستغلالي على أساس إشباع رغباته وغرائزه.

«المرأة حتى إن كانت متمرّدة في سلوكها، فإنّها مستلبة الفكر، مقيدة الوجدان، بالتّالي لا تملك الإرادة، الحركة والانطلاق، مستقلّة، بل يوجد دوما من يملي عليها حركتها سواءً كان شخصيا مثله (الرّجل)، أو ضغوط معنويّة تشكلها الضّوابط والمفاهيم الرّاسخة في المجتمع، التي تحتل وعيها، وتحدد نمط شخصيتها»[2]

أمام وضع كهذا تقدّم الرّوائيّة نظرة ترى فيها أنّ الاغتصاب جريمة قصوى يمارسها الرّجل على المرأة، حيث يزرع في نفسيتها اليأس والتّشاؤم.

تقول: «لم أتصوّر يوما أنّه يوجد هذا الكم الهائل من الشّر في إنسان واحد، يا لعبثيّة القدر أن تحرقني كتلة الشّر وتطعنني بأمي لتحوّلها أمام عيني إلى رماد، امرأة لا تمنى في قرارة

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 89.
[2] ـ د: الشريف حبيلة، الرّواية والعنف، دراسة سوسيونصيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة،ص230.

نفسها سوى الموت راحة أبديّ لذاكرتها اللّعينة، التّي تفرض عليها نفس المشاهد اليومية من الألم»[1] ، كان هذا الأخير(الألم) سبب دخولها في عالم الكآبة لسنين طويلة.

تصاب المرأة التّي تتعرض للعنف الجسدي بآثار نفسيّة بالغة المدى، مما ينجرّ عنها ضعف الثّقة بالنّفس والتّقليل من القدرات والأفكار والأداء والإحساس بالخوف، ونقص السّيطرة على الأحداث، والاكتئاب المزمن، إلى جانب اليأس والقلق، كذلك تدني مستوى تقدير الذّات.

هكذا كانت حياة أمّ مريم، حياة تشوّهها تجاعيد الحياة، ويملؤها الألم والضّعف، والخوف، جراء ما تعرّضت له من اغتصاب مشين وعنف بكلا شقيه، أسري واجتماعي.

ولّدت أحداث الاغتصاب المتكرّرة داخل المجتمع، خاصة ما يتعلّق بالاغتصاب الإرهابي ذات الكتّاب والرّوائيين وجعلوه موضوعا للكتابة كما رأينا سابقا وتعرضنا في رواية "ديهية لويز" (ما حدث لأمّ مريم).

ظهر القمع الوحشي الإرهابي على المرأة في روايات أخرى من بينها روايات " فضيلة الفاروق"، كما لو كانت النّتيجة المنطقيّة لتصاعد التّأويلات الدّينيّة المغلوطة والموروثات الاجتماعيّة المنحرفة وذلك هو السّبب الذّي جعل البسطاء الموجوعين من فساد الحكومة، يميلون إلى خطباء جبهة الإنقاذ الديني (الفيس) فهتفوا وراءهم قائلين " آمين" لما أسمته خالدة " دعاء الكارثة" وهي الدّعوات التّي سرعان ما تحوّلت مع تصاعد العنف في التّطرّف إلى حملات الاستئصال لكلّ من وسم بالكفر، وحملات خطف واغتصاب للآلاف النّساء

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص90.

اللائي أصبحن سببا للحرب مع الكفّار، كان لسلطة الدّين مفعولها وتأثيرها كبيرا لكلّ ما يحدث مع النّساء حيث أنّ المجموعات الإرهابية تختطف وتقتل باسم الدّين والأهل يقهرون ويحتقرون بناتهم باسم الدّين والدّولة، وشرع القوانين المشوهة باسم الدّين، فداخل مجتمع متخلف مثل المجتمع الجزائري يحتل الوازع الدّيني المكانة الأكبر، ليعوّض عن القصور العلمي والثقافي، ولذا فقد كان للمئذنة التّي تجسّد سلطة الدّين في رواية " تاء الخجل" مسؤولية كبرى في كلّما حدث[1]: « لأن الناس هنا لا يخالفون ما تقوله المآذن، حتى حيث قالت : [اللّهم زن بناتهم].

قالوا: [آمين].

وحتى حيث قالت: [اللّهمّ يتّم أولادهم].

قالوا: [آمين].

وحتى حيث قالت: [اللّهمّ رمّل نساءهم].

قالوا [آمين]

[1] ـ ينظر: حامي خديجة، السّرد النّسائي العربي بين القضية والتّشكيل ـ رواية "فضيلة الفاروقي"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013. ص 64 - 65.

كانوا قد أصيبوا بحمى جبهة الإنقاذ، فغنّوا جميعا بعيون مغمّضة دعاء الكارثة (...) ولهذا تنام " يمينة" نازفة في المستشفى الجامعي حاملة آثار التّغيّر، ولهذا مئات الزّهرات يغتصبن ما باركه الشّعب بالدّعوات، كان يجب أن يصيب الشّعب لا غير»[1]

لعلّ نظرة هؤلاء كانت في مجملها فهما سطحيا أحكام الإسلام مما جعل النّظرة السّلبيّة حول المرأة تظل حكما باطلا في حقّها، فليس في أحكام الدّيانة الإسلاميّة ولا فيما ترمي إليه من مقاصدها، ما يمكن أن ينسب إليه انحطاط المرأة المسلمة، بل الأمر بالعكس، فإنّها أكسبتها مقاما في البنيّة الاجتماعيّة. فتأويل أحكام الإسلام لصالح الرّجل قد أثّر سلبا في مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي فجعل الإسلام يدان من غير حق، وجعل المرأة في مرتبة التّابعة للرجل، وهذا يتناقض مع مبادئ الإسلام.

- ثيللي:

تتمحور هذه الشّخصية في الرّواية كشخصية رابعة، حيث كان سبب معاناتها وفاة عشيقها الذيّ تعرّض للقتل، وهي حاملة بطفل منه، (صديقة البطلة مريم)

سردت لنا الرّوائيّة تفاصيل الأحداث التّي وقعت مع ثيللي، وهذه المرّ يختلف وضعها عن أوضاع الشّخصيات الأخرى، هي لم تتعرض للإغتصاب بل ما حدث لها كان بمحض ارادتها لكنّه يضلّ في النّهاية تعدّ على شرفها وانتهاك لكرامتها، لتجد نفسها في نهاية المطاف تعاني وتتألّم.

[1] ـ حامي خديجة، السّرد النّسائي بين القضيّة والتّشكيل، ص 65، 66.

الحديث عن العنف الجنسي قبل كلّ شيء يشترط عدم وجود بغية أو موافقة المرأة على ما يمارس عليها، إذن لا يمكن أن نسمي اغتصابا عمليّة الدّخول في علاقة جنسيّة كاملة بين ذكر وأنثى، إذن كانت نابعة عن إرادة ورغبة حتى وإن احتجّت عن ما هو مقبول اجتماعيا بما فيها ما يطلق عليه الزّنا، أي أنّه لا يمكن اعتبار الزّنا عنفا جنسيّا لأنّه يحدث بموافقة الطرفين.

« إنّ ارتكاب الاتصال الجنسي برضا الطّرفين وتوافرت في إحداهما سواءً الرّجل أو المرأة صفة الزّواج كان ذلك في نظر القانون الوضعي زنا»[1]

« إنّ المرأة لا يمكن أن تغتصب بواسطة زوجها لأنّ جريمة الاغتصاب تزّف قانونا بأنّها موافقة جنسيّة بالقوّة مع الشّخص بخلاف زوجة المتهم»[2]

يتم ربط الأحداث بين الشّخصيات، ليظهر في الرّوايّة أنّ ما حدث مع ثيللي لا يسمى اغتصابا لأنّه تمّ بفعل إرادتها وبرضا عنها.

تظهر صورة الخوف من المستقبل، الخوف من ردّة فعل أسرة ثيللي جراء الفعل الذّي قامت به، حيث وجدت نفسها واقعة في ورطة لا تستطيع الخروج منها، حامل بطفل، تقول: « كيف أفسّر هذا للجميع أكيد أنّ والدي سيقتلني»[3]

[1] ـ أ: عبد الله عبد الغني غانم، اغتصاب النّساء ـ دراسة اجتماعيّة للجاني والضّحيّة في مصر، دط، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندريّ، 2004، ص 22.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 23.
[3] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 97.

لا تجد حلا لمشكلتها، ولا معبر لآلامها، تتصارع ما بين زمن الماضي وزمن الحاضر، ماض سمحت فيه لرغباتها ومشاعرها تجعلها تدخل في عالم لم تدرك أنّه ستجد نفسها تائهة فيه وحاضر تناجي فيه ثيللي عمن يواسيها ويساعدها للخروج من ورطتها وكيفية إيجاد حلّ تقنع به أسرتها بما تحمله من أسرار في قلبها (كيف تستعيد شرفها).

« . حتى والدتك لا تعلم

. تريدين أن تقوم القيامة عليّ؟

. تعرفين كيف تحرص على مسألة الشّرف»[1]

هكذا وقعت ثيللي في الخطيئة دون أن تنتبه بالنتائج التّي تنجم عن ما قامت به، حيث فقدت كلّ ما كانت تملك قيمتها، شرفها، زوجها على (الورق) وأسرتها.

تستفيق ثيللي من دوامة الحياة التّي جعلتها تسبح في عالم آخر، تجد نفسها تعاني نادمة على كلّ ما حدث معها ضائعة.

تقول: « لا أدري ماذا أفعل الآن يا مريم، إنّي ضائعة تماما»[2]

حاولت الرّوائيّة أن توضّح لنا أنّ ثيللي وقعت هي الأخرى ضحيّة في أيدي المجتمع، في وجه القدر الذّي سلب منها زوجها، وكيف أصبح وجودها في هذا العالم مهدّدا، لافتقاره لوسائل الأمن والحماية.

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 97.
[2] ـ الرّواية، ص 96.

تقول: « كيف أفكر بالمستقل، لقد أخذ شريف شريف معه كلّ الحقيقة؟ وحتى إمكانيات الحلّ م دونه.. لم يبق سوى الرّماد.»[1]

اكتسبت هذه الشّخصيات الأربع (مريم، أمّها، إيناس، ثيللي) دورا تمثيليا فعالا باعتبارها الذّي تدور حوله الأحداث كاشفة عن العنف الممارس عليهنّ، وقاد الشّخصيات الأخرى التّي قامت بفعل الاغتصاب نحو الموت، لترسم مأساة هذا الأخير التّي تبدأ به الأحداث وإليه تنتهي دون عرض أسبابها الاجتماعيّة المؤديّة للقيام بها.

استدارت الكاتبة إلى فاعل العنف بأشكاله تلتقط مظاهره وهي تنتقل من العنف الأسري إلى الاغتصاب، والسّياسة لتشمل بذلك القتل، فتتجلى شخصيات العنف وهي تنتقل من الاغتصاب نحو القتل: « هاهي الكتابة في نهاية المطاف لم تفعل لي الشيء الكثير، غير تخليد ذاكرتي على ورق قد ينتهي به المطاف في زاوية النّسيان»[2]

« مثل ما هو حال كلّ شيء في هذا الوطن الذّي لا يحتفظ، ولا يحفظ تاريخه... ماذا بعد الكتابة، ماذا بعد أن مضى هذا الزّمن المتثاقل في الحزن الطّويل؟ ماذا سيبقى الآن متمسكة بهذه الحياة اللّعينة؟ أرضي؟ أبني، أمّي؟»[3]

الشّخصيّة بهذا تعبّر عن موقف ما يختلف لجماعة ما، اتجاه مرحلة تاريخيّة، جاء ت الرّوائية لتعبّر عن موقفها في المستوى الفنّي مع اختلاف وجهات النّظر باختلاف مرجعيّة

[1] ـ ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ص 132.
[2] ـ الرّواية، ص 132.
[3] ـ الرّوايّة، ص 132.

الجماعة وكذا الكتاب: « (...) قلت إنّ الأهل لا يبالون، طردوا بناتهم بعد عودتهم، قلت إنّهنّ أصبن بالجنون، ارتمين في حضن الدّعارة، انتحرن (...)»[1]

إذن الاغتصاب هو الظاهرة الأساسيّة التّي عالجتها الرّوائيّة في رواية " سأقذف نفسي أمامك" كعنف يقع على جسد المرأة، حيث عكست وجعها كأنثى، وتفتح دلالة اغتصاب على إدانة لصمت والتواطؤ والمجتمع والإرهاب، فوضعيّة المرأة وإحساسها بالدّونيّة في المجتمع ليست وليدة الصّدفة. بل جاء استجابةً لتضافر مجموعة من الظّروف والتّأويلات السّاذجة التّي نقلت عبر التّاريخ ما يجعل روايتها وثيقة تاريخيّة، إذ لا طالما صرّحت الكاتبة بأنّ الأدب لابد أن يكون نقلا للواقع كما هو، فهو يحمل معان وهواجس وآلاما وطموحات وقضايا تعزّز إيمانا بأنّ الجرح يجب أن يُطهّر من صبّ الدّواء عليه منغلق وإلاّ لا فائدة عليه.

[1] ـ فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص59.

خاتمة

خاتمة:

أردنا من خلال بحثنا هذا أن نسلّط الضّوء على الجوانب الذّاتيّة المتعلقة بالمرأة وخاصة ما يخص موضوع الكتابة الذّي أبدعت فيه متخذة صورا وأشكال حقيقيّة من الواقع، لتجسيدها في تلك القوالب اللّغويّة، واستخدام الكلمات كمنفذ لتجاوز الحدود الموضوعيّة ، وصولا إلى نطاق أين لا تجد فيها سلطة الرّجل، أو قيود يُفرضها عليها المحيط الاجتماعي، والذّي يتمثّل في عالم الورقة الفسيح، أين تعرض أفكارها، وتطلّق العنان للتّعبير عمّا تحسّ به كلّ امرأة، ومن خلال بحثنا هذا توصّلنا إلى عدة نتائج نحصرها فيما يلي:

ـ المرأة وحدها قادرة على تجسيد المعاناة التّي تمرّ بها الأنثى، والتّي يمكن أن تترجم ما تحسّ به أختها، وما تمرّ به من أزمات نفسيّة وكدمات جسديّة، وتتعايش مع أوضاعها الأنثويّة.

ـ المعالم الذّاتيّة التّي تميّز المرأة تؤهلها إلى اكتساب نظرة خاصة عن العالم الدّاخلي لها (نفسها وذاتها)، وكذلك العالم الخارجي لها (ما يحيط بها) في الآن ذاته.

ـ الكتابة النّسويّة قادرة على تفريغ وعاء المكبوتات التّي تسكن ذاتها لتخرجها من أجل مواجهة الواقع واثبات وجودها ككيان ونفس تستحق التّقدير.

. قدرة المرأة على نقل وقائع حقيقيّة بكلّ حيثياته اجتماعيّة، وسياسيّة ورسمها في صورة فنّيّة بارعة.

. قدرة المرأة على مواجهة التّمرّد ومواجهة واقعها والآخر(الرّجل) ، عبر جسر اللّغة الذّي برعت في استخدامها.

. تمكّن المرأة من خلق مواضيع جديدة، تثبت بها جدارتها في الوسط الاجتماعي والأدبي لم يستطع الرّجل مجاراتها.

. تجاوز المرأة ما فرض عليها من سلطات مختلفة (أسريّة، اجتماعيّة)، وإيصال رسالة واضحة تثبت فيها أنّها ليست مجرّد أداة أو وسيلة يستخدمها الرّجل من أجل نزوته وشهوته، أو منفذ يخرج بها عصبيته.

الملحق

ملحق:

تبدأ الرّوايّة بقصّة مريم التّي تبلغ من العمر تسع عشرة عاما طالبة تدرس في ثانويات أقبو ، تظهر في الرّواية كشخصية رئيسيّة تدور حولها مجرى الأحداث، تسكن مع أبيها وأمّها وأخوها نسيم، كانت في البداية تعيش حياة شبه مستقرّة ، إلاّ أنّ الوضع تغيّر أين ووجدت نفسها تائهة وضائعة جراء محاولة والدها التّحرّش بها، حيث كان يسعى إلى الاعتداء عليها، وكانت البداية لماّ قبّلها لأوّل مرّة وهو غائب الوعي بسبب الخمر، حاولت مريم النسيان إلاّ أنّه لم يسمح لها بتجاوز ذلك، ففي ليلة من اللّيالي يعود كعادته سكران إلى المنزل، فيحاول التّعدي عليها مرّة أخرى ليحيط بها في الفراش ليمارس معها الجنس بوحشيّة، لكن محاولته آلت بالفشل، لأنّ أخوها نسيم حاول الدّفاع عنها، وجراء هذه الحادثة لقيّ حتفه، عندما حاول تحرير أخته من قبضة والده، ابتداءً من تلك اللّيلة أصبحت مريم تعيش حالة انهيار وصراع بين نفسها ومع أمّها التّي ازدادت معاناتها حين تلقّت خبر وفاة ابنها، وكذلك معرفتها لمعاملة زوجها لابنتها، ومن جراء كلّ هذا أصبحت الأم تعيش قوقعة غامضة مع نفسها تعاني وتدفع مريم للمعاناة معها لأنها تحوّلت من أمّ مثاليّة إلى امرأة لا تأبه لما يحدث معها ولا بمن حولها، لاختيارها أن تعيش بين أحضان الرّجال وتحت هزات السّهرات اللّيليّة، وقد اختارت هذه الأخيرة هذه الحياة التّي لا يملؤها غير اللّهوّ هروبا من واقع ترك في حياتها بصمات سوداء، لتطعن بما هو أكثر حادا، فقد تعرّضت للإغتصاب من طرف الإرهاب.

تظهر في الرّواية شخصية عمر، الرّجل السّياسي المناضل في الأحداث السّياسية التّي وقعت في منطقة القبائل سنة2001، وهو حبيب وزوج مريم تعرّفت عليه يوم وفاة أخوها نسيم وهو الذّي ساعدها ونقلها هي وأخوها إلى المستشفى تتعرّف عليه شيئا فشيئا، ويعجب بها ويعرض الزواج منها، توافق ويتزوجان وينجبان طفلا، لكنه في نهاية المطاف يصاب برصاصة في رأسه ويصارع الموت في مئة يوم في المستشفى ويموت.

تدور أحداث الرّواية أيضا حول "إيناس" صديقة "مريم"، تعيش مع عائلة بسيطة تتكوّن من أب متسلّط يكره البنات وأم ساذجة وثلاث أخوات، كانت تعاني من الوحدة والضياع بسبب كره وعدم مبالاة والدهنّ لأمرهنّ ممّا غرس في عقلها فكرة الرّحيل وترك المنزل لإحساسها بألم وضيق كبيران، تسرق النّقود من أختها، تترك المنزل خفية لتواجه ما لم تكن تتوقّعه، تتعرّض إلى أكبر حادث يحطّم كيانها ووجدانها، من طرف الدّركي الذّي اغتصبها بكلّ وحشيّة وبرودة أعصاب رغم ذلك استطاعت الانتقام لنفسها وأخذ الثّأر منه، حيث تقوم بحرقه بالماء بطريقة بشعة وبعدها تغيب عن الأنظار لفترة طويلة إلى أن يجدوها ميّتة في واد الصّومام.

تنتقل أحداث الرّواية من "ايناس" لتسرد لنا معاناة " ثيللي" وهي صديقة "مريم" التّي عاشت حدثا واقعيا مريرا جراء موت زوجها الذّي قتل على يديّ شرطيّ بهدف الانتقام لأخته التّي كانت على علاقة معه وانتهت بالهجران، وأكبر مصيبة أنّها ثيللي كانت حامل منه وعائلتها لم تكن على علم بزواجهما، فهذه الأخيرة كانت تبحث عن ملجأ تأوي إليه.

في آخر الروايّةّ تظهر حقائق جديدة، أين تكتشف مريم أنّ من كانت تظنّه، أنّه والدها،والذّي حاول التّعدي على شرفها، والتّحرّش بها ليس بوالدها الحقيقي، إنّما كان لأمّها عشيق في الماضي، وهو والدها الحقيقي، الملقّب "بسليمان جودي" وهيّ ابنة غير شرعيّة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع باللّغة العربيّة

1 ـ المصادر:

ـ أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دط، بيروت.

. أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ط1، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت 2002.

. إلهام غالي، غادة السّمان، الحبّ والحرب، ط1، دار الطّليعة، بيروت، 1986.

. حديث شريف (رواه أحمد أبو داوود والتّرميذي).

. حديث شريف رواه البخاري.

. حديث شريف رواه التّرميذي.

. ديهية لويز، سأقذف نفسي أمامك، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 2013.

. سورة البقرة [178].

. سورة التّوبة الآية [71].

. سورة الحجرات الآية [13].

. سورة القيامة الآية [13].

. سورة النّحل الآيتين [58 . 59].

ـ النّساء الآية [31].

. فضيلة الفاروق، اكتشاف الشّهوة، ط1، رياض الرّيف والنّشر، بيروت، لبنان، 2006.

. تاء الخجل، ط2، رياض الرّيف والنّشر، بيروت، لبنان، 2006.

2 ـ المراجع:

ـ أفلاطون، السّياسة . المعرفة والمرأة، تر: خديجة زتيلي، ط1، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، 2011.

. إبراهيم خليل، في السّرد النّسوي، دط، مطبعة السّفير،عمان . الأردن، 2008.

. ابراهيم سليمان الرّقب، العنف الأسري وتأثيره على المرأة، ط1، دار يافا العلميّة للنّشر، عمان . الأردن، 2010.

. الشّريف حبيلة، الرّواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، ط1، دار النّشر، الأردن، 2010.

. بيراداكو، تر: شريف وجيه أسعد، بحث في سيكولوجيّة الأعماق، ط3، مطبعة الرّباط، 1991.

. حسن محمّدي بوادي، حقوق المرأة بين الاعتدال والتّطرّف، دط، دار الفكر الجامعي، الاسكندريّة، 2006.

. حنان عواد، قضايا عربيّة في أدب غادة السّمان، ط1، دار الطّليعة، بيروت، أكتوبر، 1989.

. صالح مفقودة، المرأة في الرّواية الجزائريّة، ط2، جامعة محمّد خيضر، الجزائر، 2009.

. عبد اللّه محمّد الغدامي، المرأة واللغة، دط، المرأة واللغة، المركز الثّقافي العربي . الدّار البيضاء، بيروت، 2006.

. رشيدة مسعود، المرأة والكتابة، دط، إفريقيا . الشّرق، 1994، ص 07.

. ليلى الصّباغ، الأدب النّسائي المعاصر العربي والغربي، ط1، منشورات وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة، دمشق، 1996.

. محمد بدر معبدى، أدب النّساء في الجاهليّة والإسلام، دط، مكتبة الآداب ومطبعتها . المطبعة النّموذجيّة سكة الشّابورى بالحمليّة الجديدة.

. محمّد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل للنشر والطباعة والتّوزيع، 2005.

. محمّد غرناط، الهويّة والتّخيّل في الرّوايّة الجزائريّة . قراءة معرفيّة، ط1، رابطة أهل العلم . منشورات الثقافة، الجزائر، 2008.

. محمّد داوود وآخرون، الكتابة النّسوية . التّلقي . الخطاب . التّمثلات، المركز الوطني للبحث والانتروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة منشورات CRASC، 2010.

. مريم نور الدّين فضل الله، المرأة في ظلّ الإسلام، دط، دار الزّهراء للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، بيروت، 1379 الموافق 1987.

. نبيل راغب، فن الرّواية عند يوسف السّباغي، مكتبة الجاني، دط، مكتبة الجاني، 1999.

. نزيه أبو نضال، حدائق الأنثى . دراسات نظريّة وتطبيقيّة في الإبداع النّسوي، ط1، دار أزمنة عمان، 2009.

. نعيم مجاهد عودة، أدب المرأة العربيّة . الشّعر والنّشر والحوار،ط1، دار غيداء، عمان، 20010.

. يحي أحمد عيسى، المرأة والخطيئة الأولى . مأساة لم تنتهي، ط1،دار السّوسن، سوريا،2005.

. يسرى مقدّم، مؤنّث الرّواية، الذّات والصورة والكتابة، ط1، دار الجديد، لبنان، 2005.

3 ـ المجلات والمقالات:

. آمنة بلعلى بوجمعة ستوان وآخرون، آسيا جبار، " تجربة الكتابة عند آسيا جبار"، مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، 2013.بولفعة خليفة، "الهويّة والمرأة في أدب آسيا جبار . تفكيك النّسق وفك المحضور"، مجلّة الأثر، جامعة محمّد الصّديق بن يحيّ، جيجل، 2014.

. صالح مفقودة، "المرأة الثّوريّة في الرّوايّة"، يوميّة الأمة العربيّة، 18 . أكتوبر . 2010.

. لحبيب السايح، " الكتابة عن الكتابة"، مجلّة الثّقافة للرّواية الجزائريّة، مسارت وتجارب، فبراير 2004.

. ناء الزّاوي، " صورة المرأة في الرّواية الجزائريّ"، يوميّة الأمّة العربيّة،2010 .

4 ـ الملتقيات:

ـ فتيقة نورة: " الشّباب والعنف أو معادلة الذّكورة والعنف الأنثوي"، مداخلات الملتقى الوطني حول الشّباب والعنف في المجتمع الجزائري، منشورات جامعة جيجل، 2012.

. نورة بعيو: " أعمال الملتقى الوطني، الرّوايّة النّسائيّة في الجزائر، منشورات تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ماي 2013.

5 ـ الموسوعات:

ـ أحمد أبو شاود، موسوعة أميرات الشّعر العربي، دط، دار أسامة للنّشر، الأردن،2003.

. عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب من الجاهليّة في نهاية القرن العشرين، جزء22، دار أسامة الأردن.

. عبد عون الرّمان، موسوعة شعراء صدر الاسلام والعصر الأموّي، دار أسامة للنّشر، 2001.

6 . الرّسائل والأطروحات الجامعيّة:

ـ حكيمة صبايحي، " الكتابة القصصيّة النّسويّة"، مذكرة ماستير غير منشورة، جامعة بجاية، 2012 ـ 2013، نقلا عن رشيدة مسعود.

. نعيمة رحماني، " العنف الزّوجي الممارس ضدّ المرأة بتلمسان، رسالة جامعيّة غير منشورة لنيل شهادة الدّكتوره، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2010 . 2011.

. يازيد فاطمة الزّهراء، " بين سلطة المرجع وحرّية المتخيّل"، رسالة غير منشورة لنيل شهادة الدّكتوره، جامعة باتنة، 2010 . 2012.

7 . المواقع الالكترونيّة:

. الشيخ محمّد صالح المجنّد، الإسلام سؤال وجواب 2016 WWW. ISLAM. QA.COM

. بشير مقني، المرأة والكتابة، الجزائر،WWW. Al hayat. Com/ détails/562135

. منير عتيّة، نبذة عن رابعة العدوية، www. Islamoline. Nett/ cot. Arabic dowaliya/ mashaher _ 11a _ asp.

.

الفهرس

الموضوعات **الصّفحة**

مقدّمة.....أ . ج

الفصل الأوّل:

1 . المرأة والتّاريخ.....06

1 . 1 . المرأة عند الغرب.....09

1 . 2 . المرأة عند العرب.....12

1 . 3 . المرأة في الإسلام.....17

1 . 4 . المرأة في الجزائر.....21

2 . المرأة في عصر النّهضة.....26

1 . الكتابة النّسوية.....32

1 . 1 . المرأة في الشّعر.....34

1 . 2 . المرأة في القصّة والرّوايّة.....41

الفصل الثّاني: صورة المرأة والمواضيع المتعلّقة بها.

1 . التّعريف بالرّوائيّة.....51

2 . عالم الرّواية.....52

3 . دوافع الكتابة النّسوية.....55

4 . المرأة في الرّواية والمواضيع المتعلقة بها.....59

4 . 1 . العنف.....59

4 . 2 . أشكال العنف.....61

خاتمة.....95

ملحق.....99

قائمة المصادر والمراجع.....101